

جوهرا الاسلام

العدد 7/8 . السنة 24
رمضان 1447 هـ / مارس 2026 م

الثمن 5 د.ت . 5 أورو



جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر - تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الإلكتروني الموقع الإلكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	010000211110000238106
ISSN	4957-0330

الاشترک للمؤسسات	الاشترک بتونس	الاشترک للأفراد
بتونس 50 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 5 د.ت
بالخارج 50 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 5 أورو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



جواهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الجليل المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1447 هـ / 2026 م

الفهرس

- 6 احياء مئوية فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي
رئيس التحرير
- 8 تفسير آيات من سورة المؤمنون
بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
- 13 "الخطاب الإسلامي بين القواطع والاجتهاديات"
بقلم : فضيلة الشيخ عبد الله بن بية
المُقرئُ الشهير الإمام أبو الحسن علي التُّوري الصَّفَّائِي صاحب كتاب
- 21 «عَيْثُ النَّفْعِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّعِ»
بقلم الشيخ صالح علي العود
- 25 حقوق المرأة في الإسلام كفيلة بأن تصنع من المرأة وفي أي مجتمع
عنصرًا خلًا لا يقل شأنًا عن الرجل إن لم يزد عليه
بقلم فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب
- 31 الأختام القرآنية في الكتابات
لأستاذ الصادق عبد اللطيف
- 34 مجالات الفتوى الاجتهاد بين القطعي والظني من الأحكام
بقلم الدكتور مصطفى سانو
- 38 الحديث الخامس والثلاثون من الأربعين النووية ما حرّمه الله على
المسلمين نحو بعضهم البعض
بقلم : الأستاذ صالح الدين المستاوي
- 44 الحرمان الشريفان وجامع الزيتونة
بقلم : الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان
- 49 القرآن الكريم دستور الإنسانية الخالد
بقلم : الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله
- 52 دراسة التاريخ
بقلم: المفكر الإسلامي وحيد الدين خان
- 55 منزلة اللغة العربية وأهميتها
بقلم الأستاذ صالح العود

- رسالة من رسائل في التصوف لسليل الخطباء وكبار الشيوخ والأولياء 56
- محمد ابن عباد الرندي النفزي ثمّ الفاسي (733-792) 56
- الأستاذ عبد الهادي النجار الشاذلي
- فضيلة الدكتور الشيخ احمد الطيّب شيخ الازهر ورئيس مجلس الحكماء :
- مواقف مشرّفة في خدمة الأمة ودينها 63
- بقلم : الأستاذ محمد صالح الدين المستاوي
- سيرة ومسيرة المهدي بن عباد 69
- بقلم: الدكتور محمد بشاري
- عفواً... لا تجرّدوا الإسلام من إنسانيته !!! 74
- بقلم الأستاذ إبراهيم الرو (ليبيا)
- اندونيسيا وتونس أصحاب 77
- الشيخ الحبيب المستاوي:
- جسر تواصل بين إندونيسيا وتونس
- بقلم الأستاذ إدريس أحمد رفاعي
- ذكرى مئوية الشيخ الحبيب المستاوي بمشاركة أساتذة من تونس وليبيا والمغرب
- وغانا وساحل العاج وإندونيسيا وفرنسا 79
- كلمة في زمن العطش الأخلاقي 82
- بقلم د. مصطفى إبراهيم تيسيرتش
- صيام رمضان : الاحكام والأجر والثواب الذي أعدّه الله للصائمين
- إيماننا واحتسابا 84
- الاعلام بمقام الصيام في الاسلام 89
- بقلم : الشيخ صالح العود
- من فوائد المحظرة 91
- بقلم الشريف محمد بن سيد أحمد بن صلاح العباسي
- أسئلة في الصيام حول حكم من أفطر في رمضان متعمدا 96
- بقلم : الشيخ الحبيب النفطي رحمه الله
- مولاي يا مولاي، توبة 99
- بقلم صالح الحاجرة

الافتتاحية

**احياء مئوية فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه
الله في تظاهرتين وطنية ودولية امل حققناه اعاننا
الله عليه يستوجب منا شكر كل من ساهم فيه**

يصدر هذا العدد 7/8 من السنة 24 من مجلة جوهري الاسلام متزامنا مع إقامة احتفالية الذكرى المئوية لمؤسسها الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله والتي أقيم قسمها الأول في شهر ماي 2025 في كل من مدين وتطاوين في رمزية لا تخفى ارتباط الفقيه بهذه المنطقة التي فيها ترعرع وشب (ولد في تطاوين في 9 جانفي 1923) وفي مدين باشر التدريس سنة 1951 في الفرع الزيتوني

و أقيم القسم الثاني في تونس في 7 فيفري 2026 اين قضى المرحلة الأخيرة من عمره الذي كان مليا بالعطاء على مختلف الأصعدة الى اليوم الذي التحق فيه بجوار ربه راضيا مرضيا صباح يوم الخميس الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة 1394هـ / 18 سبتمبر 1975 م بعد الإمساك والقيام للصلاة في حسن خاتمة نرجوها له اكرمه بها ربه الذي عاش طيلة عمره في خدمة الدين الذي رضيه للامة وهداها اليه.

كانت اقامة هذه المئوية املا راودنا منذ ان اقترب موعدها ولم يكن من الميسور إنجازها خصوصا اذا لم تكن اقامتها من طرف مؤسسة ذات إمكانات مادية وبشرية (وزارة او جامعة او مركز دراسات).

توكلنا على الله معتبرين ان ذلك هو اقل الواجب نحو رجل اعطى اكثر مما يمكن ان يعطيه فرد في حيز زمني قصير جدا لم يتجاوز 50 سنة الابعامين وفي ظروف حفته مصاعب عديدة لازمت مسيرة حياة الفقيه منذ ان شد الرحلة الى (الزيتونة كعبة العلم في الشمال الافريقي) بعد ان حفظ القرآن على يدي جده للاب الشيخ احمد المستاوي رحمه الله والذي كان به بارا برا وجد الجزاء عليه في عاجل حياته.

كانت ذكرى المئوية في قسميها الجهوي والوطني والدولي فرصة لتسليط الاضواء على مختلف جوانب حياة الفقيه من طرف أساتذة افاضل لبوا الدعوة للدلاء بشهاداتهم الموضوعية في عطاء الشيخ المتنوع المنسجم والمتكامل في مختلف جوانبه التعليمية والثقافية والاجتماعية والتي تنطلق جميعها من تلازم مثله ادق تمثيل الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله العالم الزيتوني والوطني الذي لا تضارب لديه بين التمسك بثوابت الدين والتعلق بالوطن جسده في تصوره وفي كل ممارساته في حياته الخاصة والعامة وهو منهج ظل متمسكا به يدافع عنه بلا هوادة مستهينا بكل ما واجهه من صعاب ومضايقات لم تقتصر على الفترة التي سبقت استقلال البلاد- والتي كان له فيها نصيبا يذكر في شكر- ولكن بعد ذلك ايضا فما وهن ولا استكان ولم يبدل ولم يغير ولم يتغ من وراء ذلك جزاء ولا شكورا.

شارك الدارسون في الماوية من تونس ومن دول عديدة (المغرب وليبيا واندونيسيا وغانا وساحل العاج وفرنسا) - وهم من سمحت الظروف بدعوتهم - وناسف شديد الأسف ونعتذر لمن لم يتمكن من تشريفنا بحضورهم املين ان يتيسر ذلك في قادم الايام - شاركوا مشكورين ببحوث جادة ودراسات ضافية تضاف الى رصيد سابق لا باس به وثقته جوهر الإسلام منذ الاربعينية سنة 1975 وما بعدها من ذكريات متتابعة ضمها العدد الأول من السنة الثامنة والعدد 10/9 من السنة 23. وتكملة لهذا التوثيق فاننا نعتزم باذن الله اصدار كل ما جاء في قسمي الماوية قي قادم الأيام .

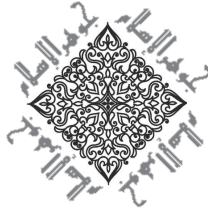
. وتبقى الخطوة الموالية هي اصدار الاعمال الكاملة والتي بادرنابنشر بعضها (الافتتاحيات التي كتبها للسنوات السبع التي باشر فيها رياسة تحرير جوهر الإسلام واخترنا لها عنوان) من وحي الإسلام - هذا هو الإسلام) ومجموعة شعرية تحمل عنوان (مع الله) يضاف الى ذلك ما امكنا المحافظة عليه من مادة التفسير والاحاديث الدينية والمشاركات المتميزة في الملتقيات والمؤتمرات الدولية التي حضرها في طرابلس والجزائر والرباط والقاهرة ومكة وعمان وباريس الى جانب ما قدمه لولاية الامور من بيانات اتسمت بالجرأة والقيام بواجب النصح (في وقفة التأمل سنة 1970 وفي مؤتمر الحزب سنة 1971) وغير ذلك كثير والذي مع بعضه البعض يمثل جانبا مما تركه الشيخ رحمه الله مما هو جدير بان يكون مواضيع اطروحات جامعية - مع الأسف لم تبادر اليها جامعته (الزيتونة) التي ظل لسان حالها والمدافع عن منهجها الذي جرب فصيح - وبادر اليه مشكورين باحثون ودارسون في جامعات خارج تونس .

. لم يتضمن هذا العدد الا بحثا واحدا من بحوث دورتي الماوية اخترناه خصيصا لما يمثله من رمزية لا شعاع الشيخ الحبيب رحمه الله الذي وصل الى ابعد البلدان الإسلامية اعني بذلك اندونيسيا وهو اشعاع فيه ارهاص يابى الله الان يتجسم اليوم فيما تشرف بالقيام به حاليا اسرة الشيخ والمتمثل في الاحاطة بمجموعة من الطلبة الاندونيسيين الدارسين في تونس حسبة لله وابتغاء للاجر والثواب ورجاء ان يتواصل به عمل الشيخ رحمه الله صدقة جارية يلحقه اجرها باذن الله .

. ويتضمن العدد - كالمعتاد - بحوثا ودراسات لاعلام من تونس ومن خارجها إضافة الى الأبواب القارة املين ان يجد فيها القارئ ما يروي ضمائه ويجيب عن تساؤلاته وانشغالاته التي ازدادت وتكاثرت في هذا الزمان وتشرف جوهر الإسلام بان تساهم بجهد المقل في طرحها .

. ونوه في ختام هذه الافتتاحية بهدية العدد المتمثلة في كتابي (تعريف الانام بصاحب مجلة جوهر الإسلام العلامة المصاحح الحبيب المستاوي) لمؤلفه الشيخ صالح العود (و) ظاهرة الإرهاب من التشخيص الى المعالجة) لمؤلفه الدكتور طارق بن ساسي اجزل الله مثوبتهما .

رئيس التحرير



تفسير آيات من سورة المؤمنون

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ أَيْحَسِبُونَ أَنَّكُمْ تُنمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارُغٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

صدق الله العظيم

هذه الآيات هي من سورة المؤمنون، ولقد سبقتها آيات أخرى تعرضت إلى بداية خلق الإنسان وكيفية تكوينه وذكر الأطوار التي يمر بها في رحم أمه ثم في بقية حياته إلى آخرها الذي هو الموت وجعل كل ذلك دليلاً على قدرة المولى سبحانه على بعث الإنسان إلى الوجود من جديد للمجازاة والمحاسبة وللاستقرار الدائم في عالم الخلود وآيات تعرضت إلى ما أحيط به الإنسان من نعيم كإنزال المطر وما يتبعه من إحياء الأرض بعد موتها وازدهار الحياة بالفواكه والثمار وتسخير الأنعام وتمكين الإنسان من قضاء حوائجه عليها وبها ومنها ثم بعد كل ذلك تعرضت الآيات إلى ذكر نماذج من حياة الأمم الغابرة وما قام به الرسل من دعوات إصلاحية تبصر الإنسان بواقعه ومآله، وتعرفه بربه وكونه ونفسه، ثم ما لاقاه أولئك الرسل الأطهار من عناء وعذاب وكيف صبروا على ذلك محتسبين فمكثهم ربهم أفضل تمكين وأهلك من أممهم من حقت عليه كلمة العذاب وفي كل تلك الحالات يتمثل إصرار أهل الإلحاد

والكفر على عنادهم، وتمسك أهل الإيمان القويم بدعواتهم الحارة وثقتهم القوية، وصبرهم الجميل، وإنما يذكر كل ذلك لأجل أخذ العبرة من هؤلاء وأولئك ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وفي كل قصة عبرة لا توجد في الأخرى وفي كل إعادة لقصة يبدو لون جديد من ألوانها وصورة أخرى من صورها وموعظة لم يسبق ذكرها في المرة الأولى فليس في كل ذلك من التكرار إلا ما لا بد منه كالأسماء والأزمنة والأمكنة، أما ما عدى ذلك فجدید لا تکرار فيه.

وفي سورة المؤمنون هذه ذكرت قصة نوح وقصة هود وقصص لوط وشعيب وموسى وهارون وقصة عيسى ومريم عليهم السلام جميعا وبعد سرد القصص والعبر يتوجه المولى سبحانه وتعالى بنداء إلى الرسل عموما فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وليس نداء الرسل ودعوتهم وأمرهم ونهيهم أمورا خاصة بهم أو أحكاما لا تتجاوزهم بل هي دعوات وأوامر لأمرهم التي تحصل منها الغفلة ويتأتى منها النكوص والتنكر، أما رسل الله فهم مبرءون ومعصومون لأن أكلهم من الطيبات وعملهم للصالحات حاصلان بمجرد الرسالة والعصمة، ولقد قدم المولى سبحانه وتعالى الأمر بأكل الطيبات على الأمر بالعمل الصالح لما للمطعمات والمشروبات من أثر ملحوظ في التأثير على الأبدان والقلوب والعواطف: ودرأ المفاسد مقدم على جلب المنافع، ولا يمكن لمن غذي بالحرام أن يأتي بشيء يذكر في ميادين الخير والبر والتقوى، ناهيك ان استجابة الدعاء التي هي مظنة للقبول والرضي لا تتأتى إلا متى خلت البطون من كل ما فيه شائبة حرمة، ولقد كان سلف هذه الأمة وهم العارفون بأسرار الدين والمتنورون بأنواره كانوا إذا أراد أحدهم أن يدعوره إلى تفريغ غمة أو لإزالة مظلمة طهر روحه وبطنه بالذكر والصيام والانقطاع عن كل طعام يشك في مورده ومصدره ثم يتوجه إلى الله بدعوات خاشعة حارة فما يرجع يديه إلى صدره بعد قراءة أم الكتاب حتى يشعر بأن مأموله قد تحقق ودعائه قد أستجيب وان أعظم دليل على صحة ما نقول هو ما أخرجه الإمامان مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : إذ قال: قال صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين) فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

مَا رَزَقْنَاكُمْ» ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يمد يده إلى السماء يا رب، يا رب فأنى يستجاب له ولقد ورد عنه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله لا يقبل من عباده من في جوفه لقمة من حرام). وصح عنه كذلك أنه قال: «أَيُّمَا لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سَحْتٍ فَالنَّارُ أُولَى بِهِ» ولقد تفاعل مع هذه الأحاديث والآيات التي يعصدها عمل نبوي قوي خيرة أصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الذين تلقوها بقلوبهم قبل أن يتلقفوها بأذانهم وشاهدوها ببصائرهم قبل أن يشاهدوها ببصارهم من أمثال أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكان تطبيقها قولاً وعملاً وطريقة وحكماً أسمى ما يهدفون إليه فإليك أخي المسلم هذه القصة الطريفة عن صاحب الغار وخليفة المختار صلى الله عليه وسلم.

لقد قدم إلى أبي بكر ذات يوم طعام وليمة فنال منه لقيمات قبل أن يعرف من أين أتى فلما علم رفع يده لتوه وانتحى ناحية من المنزل فقاء ذلك الطعام بمشقة ثم قال: (و الله لو كلفني إخراجه أن تخرج روحي معه لكان خيراً لي من أن يبيت ببطني طعام لا أجزم بحليته). بمثل هذا أصبحوا بسماء الفضائل الإنسانية والخلقية بدورا يهتدي بضياؤها السائرون في عتمة الحياة فما أشد احتياج البشرية عبر الأزمنة والعصور إلى بدور نيرة من هذا القبيل: انهم يعلمون علم اليقين أن ربهم عليم بما في قلوبهم وما تنطوي عليه أنفسهم، وان المخاتلة والخداع لا يجديان أصحابهما فتيلاً فحري بهم أن يتمسكوا بالوضوح دائماً في سرهم وإعلانهم في عمومهم وخصوصهم، في غضبهم ورضاهم لأن ربهم قد قال ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ولا يخفى ما تخبأه هذه الجملة من تحذير يتدبره أو لو الأبواب وإنه لخليق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تأخذ حذرهما وان ترعوي عن غيرها حتى تعود إليها الكرامة المسلوقة وتنبأ مكانتها السامية التي هيأتها الرسالة لها.

و ينتقل سياق الآيات إلى تحقيق حقيقة أخرى ظلت مثار خلاف بين السطحيين المتنطعين منذ كانت الرسالات السماوية الأولى إلى يوم الناس هذا ويلح القرآن على تحقيق هذه الحقيقة فيقول: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ لله ما أوضح الحقيقة وما أحلاها عندما تصدر من الصادق المصدق: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

ليست الأمة هنا سوى الدين (وإن الدين لواحد) إنه هو ما جاء به نوح عليه السلام إذ دعي الناس إلى أن يسلموا وجوههم للذي فطر السماوات والأرض وأن يتصفوا بحسن الخلق وجميل المعاملة وأن يعمرُوا قلوبهم بالحب ويقتلعوا منها رواسب الحقد والضغينة والنفاق وأن يصونوا عقولهم عن كل ما يحجب عنها أنوار المعرفة وأعراضهم عن جميع ما يلطخها بوصمة العار هذه هي الخطوط العريضة لكل رسالة سماوية من نوح إلى محمد عليهم السلام جميعا: رب واحد، بشر مكرم، فضيلة تقبر رذيلة، حب ورحمة وإخاء وهي إذا ما اختلفت فإنما تختلف في الجزئيات التي تقتضيها الأزمنة والأمكنة وتحتّمها العصور فما لأبناء آدم يركبون متن الشهوة؟ ويمتطون صهوة الأغراض الجنسية، فيفرون دين الله الواحد حسب أغراضهم وشهواتهم التي قل أن تكون نبيلة وشريفة ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

العجب كل العجب بعد كل هذا من أمة القرآن كيف تفرقها المذاهب وتشتهى الطرق أو تنوزعها الغايات والمنافع ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ أجل من غير الرحيم الرحمان يمدنا بما نحن فيه من خير ومعرفة ونعيم؟ من غيره يستحق أن يخشى غضبه وأن يطلب رضاه؟ انه وحده الجدير بالطاعة والامثال والاحترام والحب وإذا ما وجبت الطاعة لغيره أو الحب لسواه فإنما ذلك لإمثال أمره وتحقيق مشيئته وإرادته.

و لكن ويا للأسف، أبت الإنسانية إلا أن تنتكب الجادة وتعرض عن السبيل السوي فتجعل الاختلاف في الدين وسيلة من وسائل التفرق وذريعة من ذرائع العداوة والكراهية ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يا لها من غباوة وسخافة تمنى بها البشرية المنكودة إذ تجعل من دوائها الناجع ما يكون شبيها بالعلة الحرون.

جاءت الأديان لتسعى برحابتها ورحمتها كل المنضوين تحت لوائها بل ولتشمل أيضا حتى أولئك الناشزين عنها الذين يصابونها العداء تتحاسد وتتشاكس وتتراعى بأشنع التهم لتقل الكثرة ولتحصر الهدى واليقين في أقل عدد وأضيق نسبة، بهذا الداء العضال أصيبت أمم قبلنا وبه ذاته أصبنا من بعدهم، فحل بنا ما حل بهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

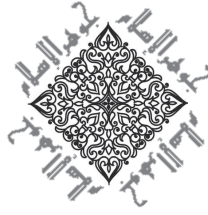
لقد صدقت يا رائد البشرية الأول يا خاتم رسل الله وامام أنبيائه، لقد صدقت إذ قلت (لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه).

الا فأقلعوا عن غيكم يا أمة المختار وأربؤوا بأنفسكم أن تقطعوا زمرا وجماعات كل جماعة تعجب بنفسها وتأخذها العزة بالإثم إذ كلكم من آدم وآدم من تراب، وكلكم لمحمد وكلكم عبيد رب رحيم وشديد العقاب.

إنه لا علة لهذا إلا جهالة الجهلاء وغبابة الأغبياء وإلا فكيف يعقل أن يرى الإنسان ما حل بغيره ويصنع نفس الصنيع الذي سبب له ذلك؟! إنه الضلال الغامر الذي طلب سبحانه وتعالى من رسوله أن يترك فيه أولئك التائمين في بحار الغفلة والسيان ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ نعم لا بد لكل بداية من نهاية ولا بد لكل حكم من أمد ينتهي قبل تنفيذه وعند حينونة أجله يخيل للذين أمهلوا أنهم لم يلبثوا في عافيتهم إلا ساعة من نهار ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهِلُهُمْ رُؤُودًا﴾ ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ولكن أين هي العقول المدركة والقلوب الواعية التي لا يغويها الامهال ولا يطغيها الامداد؟ إن الكثرة الكاثرة من الناس يخيل إليها أن انعام الله عليهم رغم تنكرهم لوجوده ما هو إلا تجاوز وصفح أو رضى وقبول بل قد تدفعهم الغفلة والعتو والجهل إلى نكران وجوده سبحانه وتعالى وجزائه تماما ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

و نظير هذه الآية قوله تعالى ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ وقوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

إن هؤلاء المعاتيه لأشبه شيء بالبهائم والحيوانات لأنهم لم يعلموا أن ربهم قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله؟ قال غشه وظلمه) نسألك اللهم أن تحفظنا من شرور أنفسنا ومن شرور الناس.



”الخطاب الإسلامي بين القواطع والاجتهادات“

بقلم : فضيلة الشيخ عبد الله بن بية

رئيس منتدى ابو ظبي للسلم

القاطع الثالث: الإنسان

الإنسان هو هذا المخلوق الذي تحير الفلاسفة في وصفه فهو مادة وروح وعقل وعاطفة وعالم غيب وشهادة، هذا الإنسان المكرم بالعلم وتسخير الكائنات ولعل ذلك ما تشير إليه آيتان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾.

ويرجع الإنسان إلى آدم الذي خلقه الله تعالى، ونفخ فيه من روحه، وقد كان ذلك إجماع البشرية، وهو رأي الفلاسفة وكل البشر إلى عهد داروين ولا مارك؛ حيث أصبح التمايز بين الأجناس موضوع مراجعة، وأصبح البحث جاريًا عن أصل جديد للإنسان بين البريمات التي يجمعها به كمال الأسنان والقدرة على المشي على رجلين واستعمال اليدين، وأصبحت اكتشافات الحفريات والخيال تمثل مرجعيات لهذا الأصل الذي لم يثبت علميًا.

وفي أكتوبر 2009م اكتشف العلماء ما سموه «آردي» في حفريات بأثيوبيا: إنسان معتدل القامة مناف للشنبازا لا يتعلق بالأشجار ولا يمشي على أربع، ويرجع إلى أكثر من أربعة ملايين سنة، كل ذلك يدل على أن نظرية داروين إنما كانت رجما بالغيب.

ونحن نؤمن بالوحي السماوي، ونعتقد أنه الجهة المؤهلة بجدارة للتحدث عن أصل الإنسان الذي هو من المقولات التي تقع فوق سقف الرؤية العقلية.

يقول البعض: إن طبيعة الإنسان ذات أوجه ثلاث:

الوجه الغريزي البيولوجي كسائر الحيوانات.

الوجه الاجتماعي فهو اجتماعي يمارس حياته ويتأثر بالمجتمع.

الوجه الإنساني، الذي يطمح إلى الرقي وإلى ملكوت السماء، ويتعرف على الخالق، ويتوق إلى عالم القيم والروحانيات.

فهو مزيج من الجسم والروح، وفي هذا المزيج تتمثل أوجه الطبيعة: الروح الشفافة الرقيقة، والمادة الثقيلة، وحاجاتها الضاغطة.

ولطبيعته المركبة قد يطغى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ وقد يتعجل: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾، وقد يضعف: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ فسرهما المفسرون بأنه لا يقاوم شهواته، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾.

إنَّ الوحي يضع الإنسان أمام مرآة الحقيقة ليرى صورته بدون مجاملة ولا محاباة، فهو كائن مميز بطبيعته الازدواجية المنسجمة وتركيبه النفسي الفريد في عالم ينسجم مع طبيعته وحاجاته وتكوينه في تركيبه العجيب وترتيبه الغريب - سبحان الخالق -.

ولذا كان مخلوقاً مميزاً سخر له الكون، وكان ذلك مظهر الاستخلاف: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، والاستعمار للأرض: ﴿أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ ووضعت الأرض مجهزة بمختلف الاحتياجات لاستقبال هذا الضيف الإنساني: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَالْكَهَّةُ وَالنَّخْلُ دَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾.

إنَّ هذا الاستخلاف للإنسان مثل تشريفاً وتكليفاً أيضاً، اقتضته حكمة الباري - جل وعلا - ليحمل الإنسان مسؤولية الخلافة في الأرض: أيشكر أم يكفر؟ أيصالح أم يفسد؟ وهكذا كان الإنسان مخلوقاً مكرماً، وليس سيئاً مطلقاً، وقد وصف الفيلسوف الفرنسي لامارك الإنسان بأنه مشروع الله في الأرض.

إلا أنه سبحانه وتعالى انطلاقاً من هذا التكریم ورحمة بالإنسان ومتاعاً له إلى حين أحاطه للمحافظة على كيانه وصيانة لوجوده بكمليات تشريعية هي من الثوابت والقطعيات تتمثل في حماية دينه ونفسه وعقله ونسله وماله.

وتبعاً لذلك فهم العلماء مقصداً أعلى للشرعة الغراء إنما جاءت لمصالح العباد حيث يقول الشاطبي: كما أن كل حكم شرعي؛ ففيه حق للعباد إما عاجلاً وإما آجلاً؛ بناء على أن الشرعة إنما وُضعت لمصالح العباد، ولذلك قال في الحديث: «حق العباد على الله إذا عبدوه ولم يُشركوا به شيئاً ألا يُعذبهم».

ويقول العز بن عبد السلام: «معظم مصالح الدنيا ومفاسدها معروفة بالعقل وذلك معظم الشرائع».

ولهذا كانت حقوق الإنسان الكثيرة بإزاء واجباته خادمة لمصالحه في المعاش والمعاد فعلى الخطاب الإسلامي في هذا القاطع أن ينبه على كبريات قضايا الإنسان وثوابت حقوقه، وأن يشارك الآخرين في القيم الإنسانية النبيلة، التي تسهم في التعايش البشري وإقامة العدل ودرء المفاسد وجلب المصالح، ومؤكداً على مصدر القيم والحقوق في الإسلام وهو الوحي؛ الذي جعل الإنسان مكرماً، وهذا هو المصدر المتعالي الذي كرم الإنسان، وليس الإنسان منشئ حقوق ولا مصدر قيم باستقلاله، إنها مجالات مهمة يجب أن يلجها الخطاب الإسلامي.

الاجتهاديات في الخطاب:

لقد قدمنا في المقدمة أن الخطاب ينقسم إلى قاطع وطني، باعتبار الدليل والقرائن الحافة، فإذا قوي الدليل إلى حد تحصيل العلم صار قاطعاً، وإذا ضعف نزل إلى مرتبة الظن، وأحياناً إلى مرتبة التخمين، وقد قدمنا هناك صنفين الأدلة الواردة على الأحكام والتي مهدت لهذا التصنيف ولهذا فسنعرف الاجتهاد والمجتهد فيه.

أما الظنيات فهي أخبار الآحاد الصحيحة التي يجب العمل بها إذا خلت عن معارض إلا أنها لا تقيد العلم عند جمهور الأصوليين خلافاً للبعض. قال في نظم ورقات إمام الحرمين: وموجب العمل دون العلم دعاه بالآحاد أهل العلم.

والظواهر ومفهوم المخالفة والأقيسة والمصالح المرسلة وسد الذرائع والإجماع السكوتي وقول الصحابي والاستحسان والاستصحاب والاستقراء على خلاف في التام.

التعريف وتحرير المصطلح: عرف العلماء الاجتهاد بأنه: بذل الوسع من قبل المجتهد للوصول إلى ظن أو قطع بأن حكم الله تعالى هو كذا.

قال الرازي: وهو في اللغة عبارة عن استفراغ الوسع في أي فعل كان يقال: استفراغ وسعه في حمل الثقل ولا يقال: استفراغ وسعه في حمل النواة.

وأما في عرف الفقهاء فهو: استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم مع استفراغ الوسع فيه.

وهذا سبيل مسائل الفروع ولذلك تسمى هذه المسائل مسائل الاجتهاد والناظر فيها مجتهد وليس هذا حال الأصول.

قال: الزركشي: وهو لغة: افتعال من الجهد وهو المشقة وهو الطاقة ويلزم من ذلك أن يختص هذا الاسم بما فيه مشقة لتخرج عنه الأمور الضرورية التي تدرك ضرورة من الشرع إذ لا مشقة في تحصيلها ولا شك أن ذلك من الأحكام الشرعية.

وفي الاصطلاح: بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط فقولنا: «بذل» أي بحيث يحس من نفسه العجز عن مزيد طلب حتى لا يقع لوم في التقصير.

وقال أبو بكر الرازي: اسم الاجتهاد يقع في الشرع على ثلاثة معانٍ:

أحدها: القياس الشرعي لأن العلة لما لم تكن موجبة الحكم لجواز وجودها خالية منه لم يوجب ذلك العلم بالمطلوب فلذلك كان طريقه الاجتهاد.

والثاني: ما يغلب في الظن من غير علة كالا جتهاد في المياه والوقت والقبلة وتقويم المتلفات وجزاء الصيد ومهر المثل والمتعة والنفقة وغير ذلك.

والثالث: الاستدلال بالأصول.

ومع تخصيص ولوج باب الاجتهاد بالمجتهد مطلقاً أو مقيداً فإن الفقيه المتبصر إذا تمكن من ترتيب الأدلة الجزئية على المقاصد الكلية وأحسن عملية التنزيل على الواقع يكون أهلاً لتقديم الخطاب.

قال في مراقي السعود:

بَذَلَ الْفَقِيهُ الْوُسْعَ أَنْ يُحْصَلَ ظَنًّا بِأَنَّ ذَاكَ حَتْمٌ مَثَلًا

فلا بد من بذل الجهد واستفراغ الطاقة من الفقيه، أما غير الفقيه المجتهد وهو المقلد فاستفراغ طاقته لا يكون اجتهاداً بالمعنى الأخص. المجتهد فيه: وهو كل

حكم شرعي عملي أو علمي يقصد به العمل ليس فيه دليل قطعي، فخرج بالشرعي العقلي فالحق فيها واحد، والمراد بالعمل ما هو كسب للمكلف إقداماً وإحجاماً. وبالعلمي ما تضمنه علم الأصول من المظنونات التي يستند العمل إليها. وقولنا: ليس فيها دليل قاطع -احترازاً- عما وجد فيه ذلك من الأحكام فإنه إذا ظفر فيه بالدليل حرم الرجوع إلى الظن.

ومما يجرى هذا المجرى قول الأحناف: إن المجتهد فيه الذي يسوغ فيه الاجتهاد هو: ما لم يخالف كتاباً ولا سنة مشهورة ولا إجماعاً، إذ لو خالف شيئاً من ذلك في رأى المجتهد لم يكن مجتهداً فيه، حتى لو حكم به حاكم يراه لا ينفذ.

قال في الفتح: وعدم تسويغ الاجتهاد لوجود الإجماع، أو النص الغير المحتمل بلا معارضة نص آخر في نظر المجتهد وإن كانت المعارضة ثابتة في الواقع. فالمعارضة المشار إليها في كلام صاحب الفتح يردّها الأحناف بأحد أمرين باحتمال ناشئ عن الدلالة، كما أن الاحتمال قد يكون ناشئاً عن الشبوت.

إن الاجتهادات تتعلق بتفاصيل قيم التسامح والعدل والشورى والتعایش والتواصل والوحدة والتعدد في إطار الثوابت، وهو تعدد تجليه مرونة الفقه وسعته، وتنوع دلالات النصوص، وتوسع نطاق الأدلة الإجمالية في ضوء الزمان؛ لتحقيق مقولة هي بالتأكيد حق: أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان؛ وذلك بتسليط الاجتهاد على الربط المتواصل بين الزمان وبين الشريعة نصوصاً ومقاصد وأصولاً وقواعد، انطلاقاً من مبدأ: العقل المصلحة. وترجمة لثلاثة مقاصد: الضروري الحاجي - والتحسيني.

إن تقرير وجود مساحة واسعة وفسحة للاجتهاد في الشريعة يجب أن يكسو الخطاب الإسلامي ثلاث سمات هي:

- 1 - التسامح
- 2 - التصالح
- 3 - التيسير

ويمكن ترجمة ذلك في ثلاث قضايا أساسية هي: التسامح في الاختلاف، والتصالح مع الآخرين والكف عن التكفير. والتيسير على الناس.

السمة الأولى: التسامح في الاختلاف

إن الاختلاف ظاهرة لا يمكن تحاشيها باعتبارها مظهراً من مظاهر الإرادة التي ركبت في الإنسان إذ الإرادة بالضرورة تؤدي إلى وقوع الاختلاف والتفاوت في الرأي. وقد انتبه لذلك العلامة ابن القيم عندما يقول: «وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه»

قال ابن عابدين في تعليقه على قول صاحب الدر المختار: «وعلم بأن الاختلاف من آثار الرحمة فمهما كان الاختلاف أكثر كانت الرحمة أوفر».

وهذا يشير إلى الحديث المشهور على ألسنة الناس وهو اختلاف أمتي رحمة قال في المقاصد الحسنة: رواه البيهقي بسند منقطع عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما أوتيت من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيا ما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة». وأورده ابن الحاجب في المختصر بلفظ اختلاف أمتي رحمة للناس.

ونقل السيوطي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول: ما سرنى أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة.

وأخرج الخطيب أن هارون الرشيد قال لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب - يعني مؤلفات الإمام مالك - ونفرقها في آفاق الإسلام لنحمل عليها الأمة. قال: يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة كل يتبع ما صح عنده وكلهم على هدى وكل يريد الله تعالى. وتمامه في كشف الخفاء ومزيل الإلباس.

ولهذا اعتبر العلماء معرفة الاختلاف ضرورة للفقهاء حتى يتسع صدره وينفسح أفقه.

فقد قال قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه.

وعن هشام بن عبيد الله الرازي: من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقهاء.

وعن عطاء: لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس.

وقال يحيى بن سلام: لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول: هذا أحب إلي.

إلى غير ذلك من الأقوال يراجع الشاطبي في الموافقات، فقد عد معرفة الاختلاف من المزايا التي على المجتهد أن يتصف بها.

كما في مسألة أمره عليه الصلاة والسلام بصلاة العصر في بني قريظة فقد صلاها بعضهم بالمدينة ولم يصلها البعض الآخر إلا وقت صلاة العشاء، ولم يعنف أحدا منهم كما جاء في الصحيحين.

وفي السفر كان منهم المفطر والصائم. وما عاب أحد على أحد كما جاء في الصحيح. حتى في الاختلاف في القراءة في حديث ابن مسعود وحديث عمر وأبي بن كعب...

إنها التربية النبوية للصحابة ليتصرفوا داخل دائرة الشريعة حسب جهدهم طبقا لاجتهادهم.

وبعده عليه الصلاة والسلام كانت بينهم اختلافات حسمت أحيانا كثيرة بالاتفاق، كما في اختلافهم حول الخليفة بعده صلى الله عليه وسلم.

وكما في اختلافهم حول قتال مانعي الزكاة، وحول جمع القرآن الكريم، ورجوع عمر إلى قول علي في مسألة المنكوحة في العدة حيث كان عمر يرى التفريق بينها وبين من تزوجها في العدة وتحريمها أبدا عليه وإعطاها الصداق من بيت المال، وكان علي يرى أنها لا يتأبد تحريمها فرجع عمر إلى رأيه.

وتارة يظل الطرفان على موقفهما وهما في غاية الاحترام لبعضهما البعض.

كقصة عمر مع ربيعة بن عياش في التفضيل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وقصة الأراضي المفتوحة هل تصير خراجية أم توزع على الغانمين.

وقصة عائشة وابن عباس في رؤيته عليه الصلاة والسلام للباري جل وعلا.

وبين عائشة وبين الصحابة في سماع الموتى.

وبين عمر وبين فاطمة بنت قيس في مسألة سكنى المبتوتة ونفقتها حيث قالت بنت قيس إنه لا سكنى لها ولا نفقة وقال عمر بخلافها قائلاً: لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى أحفظت أم نسيت.

واختلاف ابن مسعود وأبي موسى الأشعري في مسألة إرضاع الكبير حيث رآه الأول غير مؤثر وراءه الثاني مؤثراً.

واختلاف أبي هريرة وابن عباس في الوضوء مما مست النار حيث أوجبه الأول ولم يوجبه الثاني.

واختلاف عمر مع أبي عبيدة في دخول الأرض التي بها وباء حيث رأى عمر الامتناع من دخولها ورأى أبو عبيدة الإقدام عليها قبل أن يخبرهما عبد الرحمن بن عوف بالحديث.

ويدخل التابعون في بعض الأحيان في حلبة الخلاف كأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف مع ابن عباس في عدة الحامل المتوفى عنها هل تعتد بأبعد الأجلين أو تعتد بالوضع.

وتقف عائشة إلى جانب ابن عباس قائلة لأبي سلمة إنما أنت فروج - رأى الديكة تصبح فصاح - معتبرة أنه لم يبلع بعد درجة الاجتهاد ولكن الأمر لا يتجاوز ذلك.

وموضوعات الاختلاف كثيرة جداً ولكنها تحسم بالتراضي أحياناً، ويسجل لعمر رضي الله عنه كثرة رجوعه إلى آراء إخوانه من الصحابة واعترافه أمام الملاء بذلك قائلاً أحياناً: امرأة أصابت ورجل أخطأ. وتأصيله للقاعدة الذهبية وهي: «أن الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد» وهي قاعدة تبناها العلماء فيما بعد فأمضوا أحكام القضاة التي تخالف رأيهم واجتهادهم حرصاً على مصلحة إنهاء الخصومات وحسم المنازعات وهي مصلحة مقدمة في سلم الأوليات على الرأي المخالف الذي قد يكون صاحبه مقتنعا به.

(يتبع)



المُقَرِّئُ الشَّهِيرُ

الإمامُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ النُّورِيِّ الصَّفَاقِسِيُّ

صاحبُ كتاب «غَيْثُ النِّفَعِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ»

(1053 - 1118 هـ - 1643 - 1706 م)

بقلم الشيخ صالح علي العَوْد

مُجاز في الشريعة / جامعة الأزهر

وُلِدَ عام (1053 هـ - 1643 م) بصفاقس، ونشأ فيها وتعلَّم: فحفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز العاشرة من العمر؛ ثُمَّ انصرف إلى أخذ مبادئ العلوم، فلازَمَ المُرَبِّيَ الجليل: الشيخ أبا الحسن عَلِيَّ الكَرَّاي بَرَّدَ اللهُ ثَرَاه، فربَّاه وأدَّبه وهذَّبه . ولَمَّا بلغَ الرَّابِعةَ عشرة، رَغِبَ في المزيد من علوم الدين، إذ كان يَطْمَعُ في الذهاب إلى مدينة تونس حيث «جامع الزيتونة» المعمور، ليأخذ عن عُلَمائِهِ الأبرار، لكنَّ أباه - نظرًا لضيق حاله مع صِغَرِ سِنِّهِ لَمْ يُسَعِفْهُ بِمَطْلُوبِهِ، وَرُبَّمَا لَأَنَّهُ كان وَحيدَ أبويه في الذِّكُورِ على ما يقوله بعض المؤرِّخين؛ لكنَّ إرادة الله فوق كُلِّ إرادة، كما قال تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)؛ إذ يَسَّرَ اللهُ له بعدُ الالتحاق بـ «جامع الزيتونة»، فَلَقِيَ فيه كِبَارَ العُلَمَاءِ، وأَجَلَاءَ الشُّيوخ، فتَجَرَّدَ بِهِمَّةَ عالية، ونفسُ أبيَّةٍ لِلأخذ عنهم والقراءة عليهم، منهم - كما ذَكَرَهُم في فِهْرِ سِتِّهِ مع الثَّناء عليهم - : الشيخ عاشور القِسْمَطِينِي، والشيخ سليمان الأندلسي، والشيخ مُحَمَّدُ القَرَوِي، وغيرهم...

ثم تآقت نفسه إلى طلب المزيد من العلوم الشرعية، فاشترأت نفسه المظمتة إلى الرحلة إلى مصر للالتحاق بالأزهر الشريف، والأخذ عن علمائه الأجلاء، والجلوس إليهم والسماع منهم؛ فسافر إليها وبقي فيها إلى سنة (1078هـ - 1667م)، فقرأ على مشايخ عدة، وأئمة كبار يُشار إليهم بالبنان، منهم: «المُسندُ أبو إسحاق المأموني الشافعي، والأستاذ أحمد السنهوري المالكي، والمحقق أبو بكر السنواني، وشيخ الشيوخ محمد الخفاجي والد الشهاب الخفاجي، والمحدث الشيخ الشبراوي المالكي، والشيخ نور الدين الزياي، والقُدوة الشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي: وأجازه في العلوم، وزين العابدين حفيد الشيخ زكرياء الأنصاري، والمحقق الشيخ يحيى الشاوي، والشيخ أحمد بن أحمد العجمي، ومحمد بن محمد الأفراني المغربي السوسي، والشيخ علي الخياط الرشيدي، والشيخ محمد الخرشي، والشيخ إبراهيم الشبراخيتي، والشيخ أحمد العنابي. قال الشيخ النوري: «وقد اجتمعتُ بهم، ولازمتهم مدة طويلة، وحضرتُ مجالسهم الخاصة والعامة، وكلّ منهم أجازني إجازة عامة، مطلقة شاملة تامة، على حسب ما أجازهم به مشايخهم كما أخبروني بذلك».

وبعد أن نهلَ من علماء الأزهر الشريف، وجلسَ إلى فطاحله، فقلَّ الشيخ التوري عائداً إلى بلده (تونس)، فاستقرَّ بمسقط رأسه (صفاقس)، وشمرَّ عن ساعد الجد: ينشر العلم ويبيته لمن طلبه، انطلقاً من منزله، الذي حوله - على التوّ - إلى (مدرسة) للتعليم الشرعي، ممّا جعل الراغبين في العلم والباحثين عن أفذاذ الشيوخ المنقطعين إلى الله، الزاهدين في حطام الدنيا وشهواتها، يَفدون إليه من كلّ حدب وصوب، فيحطّون الرّحال في مدرسته، ويظعنون فيها ليأخذوا عنه العلم والزهد والورع والتّقوى، والقُدوة في العمل والإصلاح.

يقول مؤرّخ صفاقس الأستاذ أبو بكر عبد الكافي في (تاريخ صفاقس: رجال وأعلام / ج 3 ص 52): «بعد أن أدّى فريضة الحجّ عاد إلى مسقط رأسه صفاقس، معلّماً ومُرشداً، ومُربيّاً ومُجاهداً في سبيل الله، وتوعية مواطنيه، وإحياء العلوم الدينية والقرآنية. وكان حوّل منزل سكّناه إلى مدرسة للتعليم شأن رجال العلم والصّلاح، فإذا هي تتكوّن كما نراها اليوم: من مسجدٍ تُقامُ به الصلوات في أوقاتها، ويُجتمعُ فيه بتلاميذه لإلقاء دروسه، وتوعيتهم وتثقيف نفوسهم، وللدّكر أحياناً؛ ومدرسةٍ لسكّنى الطّلبة ذات حُجراتٍ وغُرَفٍ، ممّا رَغِبَ أبناء العلم في التّوافدِ عليه من جهات الجمهورية التّونسية، وزيادة على كلّ هذه التّسهيلات المرغبة في العلم، كان رحمه

الله يساعده تلاميذه، ويمدّهم بالطعام والكسوة من كَدِّ يَمِينِهِ وماله الخاص، وكان في تربية تلاميذه حريصاً على تكوينهم تكويناً إسلامياً بما في هذا المعنى، ممّا جعله يُكوّن منهم نُخْبَةً صالحة قامت برسالة العِلْمِ في حياته وبعده، بصفاقس وخارجها». اهـ

وهكذا عاش الشيخ النّوري حياته كلّها بين طلب العِلْمِ، ونشره، فأَتَتْ جُهُودُهُ الخالصةُ لله وفي الله، ثمارها بإذن ربّها؛ ثُمَّ خَلَفَهُ في هذا النّشاط العلمي، والإشعاع الرّوحي: نَجْلُهُ الكبير: العلامة الفقيه القدوة، وارث عِلْمِ أبيه: أبو العباس أحمد ابن الشيخ الفقيه المُقَرَّرِ علي النّوري الصّفافسي، مُدَّة (ثلاثٍ وثلاثين عاماً).

مؤلّفاتُه الماتعة : المخطوطة والمطبوعة

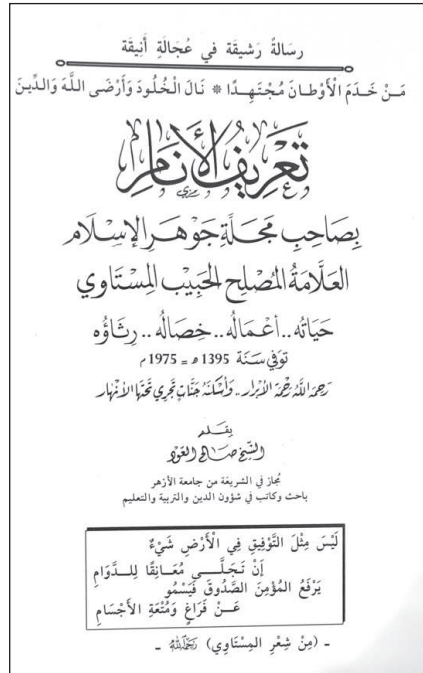
ألّف الشيخ النّوري عدّة مؤلّفات، في فنون شتّى، بعضها طُبِعَ وأغلبها مخطوط؛ وهي:

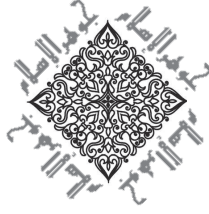
1. تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين .
2. غيث النّفع في القراءات السّبع .
3. مقدّمة في الفقه والتّوحيد .
4. مناسك .
5. رسالة في تحريم الدّخان.
6. مُعين السّائلين من فضل ربّ العالمين (في الأدعية الماثورة وآداب الدّعاء وأركانه).
7. رسالة في السّماع وفي وجوب كتابة المصحف بالرّسم العثماني .
8. مُنقذ الوَحْلة في معرفة السّنين والقبلة.
9. عقيدة اختصرها من العقيدة الصّغرى للشيخ السنوسي وهذبها.

مناقبه الحميدة وشمائله المعجدة :

أثنى عليه كلّ من أرّخ له، خصوصاً علماء بلده - فأهل مَكَّة أَدْرَى بشعابها كما قيل - وهذه بعض النّقول الموجزة التي تشهد بفضله، وعُلُوّ منزلته، وفائق مقامه:

1. الشيخ محمد مخلوف في كتابه «شجرة النور الزكية» (ص 321)، قال: «أبو الحسن علي بن محمد النوري الصفافسي، الإمام المقرئ، المحدث المُسند، العلامة الفقيه، المتكلم المحقق المتفنن، الحامل راية العلوم باليمين، القدوة المرئي، المتمسك بعري الدين، السالك سُنن المهتدين، والفضلاء الواصلين».
2. الأستاذ أبو بكر عبد الكافي في كتابه «تاريخ صفاقس» (ج 3)، قال: «اشتهر فضل الشيخ على النوري، وشاع ذكره، فازدحم الطلاب على باب مدرسته، وغرس الله تعالى محبته في كل قلب، حتى صار الناس يعتقدون فيه الخير والصلاح، وينقادون لأرائه، ويتوجهون إليه بقضاياهم، مما زاده إيماناً بمواصلة رسالته».
3. العلامة المحدث عبد الحي الكتّاني في كتابه «فهرس الفهارس والأثبت» (ج 2 / ص 673)، قال: «هو العلامة، الواسع العارضة، محيي السنن، وعلم القراءات، بالقطر التونسي، أبو الحسن علي بن محمد النوري الصفافسي صاحب كتاب (غيث النفع في القراءات السبع)».





حقوق المرأة في الإسلام كفيلة بأن تصنع من المرأة وفي أي مجتمع عنصرا خلاقا لا يقل شأنًا عن الرجل إن لم يزد عليه

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب

شيخ الازهر

ان هذه المؤتمر بالغ الأهمية⁽¹⁾، بل بالغ الخطر أيضًا، إذا ما نوقشت قضاياها على ضوء ما يضطرب فيما وراء البحار من نظريات وأطروحات وثورات تتعلق بالمرأة وحقوقها، والتي تبلورت في العقود القليلة الماضية في ثورة على الأسرة، وفي المطالبة بالتححر من قيودها، ومن انحصار دور الزوجة في الأمومة.. أو في «عبودية التناسل» حسب ما تقول: الأدبية الفرنسية «سيمون دي بوفوار»، والتي وصفت مؤسسة الزواج بأنها: «سجن أبدي للمرأة وإعلان لنهاية حياتها وانطفاء آمالها وأحلامها».

ان هذه الحركات النسائية في الغرب تطورت إلى منظمات تسمت باسم: «الفيمينزم»، وتعني: «الثورة النسائية» أو: «نظرية الحقوق الجديدة»، التي تطالب بإعادة تعريف «الأسرة» واستبعاد أنماطها القديمة، وتبني أنماط جديدة يحل فيها اسم: «الشريك» محل «الزوج» وألا يقتصر مفهوم الأسرة على الشريك والشريكة، وأن يتسع ليشمل الأسرة المكونة من رجلين أو امرأتين تربط بينهم العلاقات

(1) كلمة فضيلة الشيخ أحمد الطيب شيخ الازهر في مؤتمر استثمار الخطاب الديني وأثره في حماية وتعزيز حقوق المرأة في دول منظمة التعاون الاسلامي (1/ 2 فيفري 2026).

المعروفة، كما ظهرت مصطلحات جديدة كالأم البيولوجية والأم الاجتماعية والإنجاب الصناعي الذي تطور أخيراً إلى: «الرحم الصناعي» وما يتيح من إمكان الحمل خارج الجسم الإنساني، وما يوفره للمرأة من حرية مطلقة في الاستغناء عن الرجل استغناء تاماً إذا ما رغبت في إنجاب أطفال، يخرجون من بطون الأجهزة طبقاً لما تحدده المرأة لطفلها الصناعي من مواصفات وقدرات وأشكال.

إن كلمتي ليس من همها أن تفيض في الحديث عن التطور التقني المتسارع في برامج الرحم الصناعي، وانعكاساته على الأسرة الإنسانية بعامه، والأسرة المسلمة بخاصة، وإن كان من همها أن تشير - ولو من بعيد - إلى تسارع هذا التطور ليتبين لنا خطر مؤتمرها هذا، وأنه مؤتمري يسبح ضد أمواج دمرت الأسرة الغربية التي استسلمت لطوفانه المكتسح، وها هي تواصل مسيرتها للسيطرة على بلاد العرب والمسلمين.. وعينها على ما تبقى لها من أخلاق دينية وقيم إنسانية.

إن قضية المرأة التي تناقش اليوم في مؤتمرها هذا يمكن النظر إليها عبر زوايا ثلاث: الأولى: زاوية «شريعة الإسلام» التي حررت المرأة المسلمة من أغلال وقيود كبلتها بها ثقافات جاهلية، عاصرت ظهور الإسلام، وكان في مقدمتها: حضارة اليونان وفلسفتها الممثلة في قطبيها الكبيرين: أفلاطون وأرسطو، وكذلك شريعة الرومان وعقائد الهند، وكتب مقدسة حملت المرأة وحدها مسؤولية الخطيئة الأولى، ثم جاهلية العرب التي صادرت على المرأة حق الحياة، وحق التعلم، وحق التملك، وحق الميراث، إلى آخر ما تعلمونه ويضيق الوقت عن تذكيركم به.

في هذا الجو المهيمن للمرأة ظهر الإسلام وكان له في شأنها كلمة تاريخية حاسمة، ولو أنه صمت في تلكم الأثناء عن مظالم المرأة وهضم حقوقها ما توجه إليه عتب ولا لوم، فقد كانت الدنيا بأسرها ضد المرأة، وضد كرامتها الإنسانية، غير أن نبي الإسلام ما لبث أن صدع في الناس بما يصدم وعيهم ويقلب نظامهم الاجتماعي رأساً على عقب حين تلا عليهم من سورة النساء قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»، ومن سورة الروم: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً»، ومن سورة النساء كذلك: «وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»، ومن سورة البقرة: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»، وقوله:

«وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا»، ومن سورة الطلاق قوله: «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ»، وقوله تعالى: «وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ».

ان نبينا الكريم ﷺ ما لبث أن نادى في أصقاع العرب في حواضرها وبواديها، فأعلن أن: «النساء شقائق الرجال»، وكان من أواخر كلماته وهو يودع حياته الشريفة: «... اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ». ثم أوقف - وإلى الأبد - وأد البنات، وملك المرأة حقوقا لم تعرفها من قبل، وسبقت بها نظيراتها في العالم بأربعة عشر قرنا من الزمان: ملكها حق الإرث، وحق التعليم، وحق اختيار الزوج، وجعل لها ذمة مالية مستقلة عن زوجها، تتصرف فيها تصرف المالك في ملكه الخالص، مع الاحتفاظ باسم عائلتها حتى لا تذوب شخصيتها في شخصية شريكها، وساوى بينها وبين الرجل في التكاليف وفي تحمل المسؤولية، وساوى بينهما في حق الفرقة والانفصال، فأعطى الزوج حق الطلاق وأعطى الزوجة حق الخلع.

إن هذه الحقوق كفيلة بأن تصنع من المرأة - وفي أي مجتمع - عنصرا خلاقا لا يقل شأنًا عن الرجل إن لم يزد عليه، وقد صح أنه ﷺ قال: «... فَلَوْ كُنْتُ مُفَضَّلًا أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ عَلَى الرِّجَالِ». وهذا التفضيل ليس من باب جبر الخاطر لضعف مهيز الجناح مهزوم الحقوق، وإنما هو إنصاف مستحق لميزات وخصائص، كثيرا ما تتفوق فيها النساء، ويفضلن بها الرجال. ورغم امتلاك أمتنا هذه الكنوز الكافلة لرقى المرأة وتأهيلها لتحمل مسؤولياتها التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. إلا أن وضع المرأة لا يزال وضعًا غريبا على فلسفة الإسلام وروح تشريعاته المستمدة من القرآن والسنة المطهرة.

وان تحليل هذه المفارقة هو ما يوضحه منظور الزاوية الثانية: وهو أنه حدث في بعض محطات معينة من مسيرة فقه المرأة ما يشبه السير في الاتجاه المعاكس أو المقابل لاتجاه نصوص الشريعة، وذلك حين طغى على أفهام البعض وعلى ممارساتهم منطق العادات والتقاليد والعرف المتوارث، وتغلب على هدي «التشريعات» القرآنية والنبوية الواردة في إنصاف المرأة وتمكينها من حقوقها. وقد نتج عن هذا الوضع المعكوس ثقافة شعبية صادرت كثيرا من حقوق المرأة الشرعية، وجعلت من المرأة المسلمة أنموذجا للضعف والازواء بين الجدران، واعتياد المظالم والصبر عليها، وذلك في الوقت الذي استطاعت فيه زميلتها في الغرب والشرق أن تكسر كل هذه القيود.

ولا ينظر إلى المرأة الغربية -اليوم- بحسبانها أنموذجا أمثل ندعو المرأة المسلمة لاستلهامة أو تقليده أو اتخاذه مثالا يحتذى به في نهضتها المعاصرة، ذلكم أن المرأة المسلمة إن فعلت ذلك فإنها ستكون في أفضل أحوالها كالمستجير من الرمضاء بالنار. ولكن أردت أن أبين المفارقة بين المرأة المسلمة التي تعاني التشوش والاضطراب فيما تأتي وما تدع، رغم امتلاكها لشريعة إلهية تضمن لها حقوقها في أن تكون عنصرا بناء في كيان المجتمعات المعاصرة، وبين المرأة الغربية التي استطاعت أن تتخلص من عوائقها رغم افتقادها لهذا النور الذي تمتلكه أختها المسلمة.

والزاوية الثالثة التي يمكن أن ننظر منها إلى وضع المرأة المسلمة، وهي أن هذه الجوانب المحدودة من إرثنا الثقافي الشعبي، والذي اختلط فيه صحيح الدين بتسلط العادات والتقاليد - نشأت عنه حالة من التيه أربكت المرأة المسلمة المعاصرة، وأفقدتها بعض توازاناتها، وكان من مظاهره السلبية: ظاهرة: «المغالة في المهور»، تلك التي صمت العلماء صموتا مرييا عنها وعن ترسخها في عادات الناس، وكان واجب العلماء والدعاة أن يتصدوا لمقاومة هذه الظاهرة، وأن يضربوا الأمثال للناس بأنفسهم وأولادهم وبناتهم، لتشجيعهم على التخلص من هذه الظاهرة التي جعلت من «الزواج» أمرا عسيرا بالغ الصعوبة.

أنه في ظل هذه الظاهرة اللامعقولة واللامنطقية، تطالعنا الشريعة الإسلامية بنصوص شرعية صريحة دعت إلى يسر المهور، وإلى الاكتفاء فيها بأيسر الأشياء وأقلها ثمنا، ذلكم أن فلسفة الإسلام في قضية المهر تتلخص في أنه «رمز» للتعبير عن الرغبة القلبية الصادقة في الارتباط بالزوجة، وليس مظهرا من مظاهر السفه أو البذخ والمباهاة، وما يستتبع كل ذلك من تكاليف ومغامر تضطر الأسر البسيطة إلى الاقتراض والاستدانة ومعاناة هموم وآلام نفسية قد تصاحبها طويلا، وتقض مضجعها ليلا ونهارا.. مع أن نبي الإسلام ﷺ نزل في مقدار «المهر» وتيسيره إلى مستوى خاتم من حديد، بل اكتفى فيه بأن يحفظ الزوج زوجته سورة من سور القرآن، ولم يكن ذلك منه ﷺ خطأ من قدر الزوجة أو إزاء بهذه الرابطة المقدسة، بل كان من قبيل وضع الأمور في موضعها الصحيح، فالرغبة القلبية، أو «الحب» الذي يجمع بين قلبين متحابين هو عاطفة نبيلة مقدسة، دونها أموال الدنيا بأسرها، وإذن فليكيف فيها ما يشير إلى هذه العلاقة ولو من بعيد.

و لعلّ هذا ما دفع النبي ﷺ لأن يوصي الشباب -ومن ورائهم: الأمة كلها- باليسر في «المهور»، وجعل من هذا اليسر سنة من سننه ﷺ، بل تكييفاً شرعياً يثاب فاعله، وإن كان لا يعاقب على تركه، وفي هذا الأمر يقول ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَاقِ يُسْرَاهُ» (٢)، ويقول: «إِنَّ أَعْظَمَ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَوْنَةً»، وقال له شاب مرة: «إِنِّي تَزَوَّجْتُ عَلَى مِائَةِ وَسَيْتَيْنِ دَرَهْمًا، فَاسْتَكْثَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لِلشَّابِّ: كَأَنَّكُمْ تَحْتَوْنَ الْفَضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ».

فقد عزم أمير المؤمنين على سن قانون يحدد المهور عند مستوى يستطيعه عامة الناس، ومهد لذلك بخطبة قال فيها: «أَلَا لَا تُغَالُوا فِي الْمَهْوَرِ؛ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ!؛ مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً قُطٌّ مِنْ نِسَائِهِ وَلَا بَنَاتِهِ فَوْقَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً، فَمَنْ زَادَ مِنْكُمْ عَلَى «أَرْبَعِمِائَةٍ» شَيْئًا جَعَلْتُ الزِّيَادَةَ فِي بَيْتِ الْمَالِ»، غير أن عمر لم يلبث أن تراجع عن المضي في تنفيذ فكرته هذه، حين وقفت له امرأة قرشية تقول: «لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا عُمَرُ. فَقَالَ: وَلِمَ؟ قَالَتْ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾، فَمَا كَانَ مِنْ عُمَرَ إِلَّا أَنْ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَفِّوْا!» أَخْطَأَ عُمَرُ وَأَصَابَتْ امْرَأَةً.

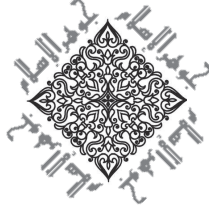
و الآية الكريمة لا تدعو إلى زيادة المهور أو الغلو في قيمتها، ولكنها من باب التشديد على أن «المهر» حق خالص للزوجة، لا يجوز للزوج أن يأخذ منه لا قليلا ولا كثيرا، حتى لو كان ما دفعه مهر الزوجة «قنطارا من ذهب» فهي على سبيل المبالغة في تحذير الزوج من أن تمتد يده إلى مهر الزوجة. وقد ترتب على ظاهرة المهور الغالية ظاهرة أخرى، هي: ظاهرة العنوسة وظاهرة العزوبة التي يعاني الشباب -بسببها-، ضغوطا نفسية لا يستهان بها من أجل أن يحتفظ بطهره وعفافه وطاعة أوامر ربه، وليس من شك في أنه لا حل -والوضع كذلك- إلا تيسير الزواج وعودته لصورته البسيطة التي حث عليها الإسلام، وإذا كنا ننادي اليوم بضرورة تجديد الخطاب الديني فإن أول خطاب يجب البدء بتجديده وإعادة إنتاجه هو هذا الموضوع.

و إن المقام لا يتسع للحديث كذلك عن ظاهرة الاستغلال السيء لقضية التعدد وقضية الطلاق، وهما ظاهرتان بعد فيهما المسلمون بعدا ظاهرا عن أحكام شريعتهم ومقاصدها في احترام إنسانية المرأة، وحققها في مراعاة مشاعرها.

و قد أصدرت هيئة كبار العلماء في شأن حقوق المرأة في عصرنا هذا قرارات، وكانت كالتالي: (تجب المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ومعيار التفاضل بين الجنسين يقتصر على الكفاءة والإتقان لا على اختلاف الجنس - التأكيد على إعطاء المرأة حقها في الميراث الشرعي ورفض المساس بنصيبها ورفض الدعوات التي تنادي بالمساواة المطلقة بين الرجال والنساء لأنها تخالف النصوص القطعية - لا يحق للولي منع تزويج المرأة برجل كفء ترضاه إذا لم يكن للمنع سبب مقبول، وللقاضي إذا رفع إليه أمرها أن يزوجها - يجوز أن تتقلد المرأة كافة الوظائف التي تصلح لها؛ بما فيها الوظائف العليا بالدولة - يجوز للمرأة في زماننا أن تسافر بغير محرم؛ متى كان سفرها آمناً بصحبة ترافقها أو بوسيلة من وسائل السفر يمنع تعرضها لما تكره).

و مما أقرته الهيئة في هذا الشأن: (القوامة لا علاقة لها بتفضيل الرجل على المرأة، وليست سلطة استبدادية للزوج، بل تعني المسؤولية التامة عن المرأة، وما يلزمها من أعباء الحماية، والرعاية، والنفقة - تحريم العنف الأسري بكل أشكاله، والعنف ضد المرأة خاصة - تحذير هيئة كبار العلماء من المغالاة في المهور، وفوضى الطلاق تعسفا بلا سبب معتبر شرعا حرام، ويؤاخذ عليه شرعا، سواء أكان برغبة المطلق أم بطلب من الزوجة؛ لما فيه من إضرار بالأسرة - وبخاصة الأطفال -، ولمنافاته أخلاق الشريعة، وإخلاله بما أراده الشرع للزواج من الاستقرار والاستدامة، ويجب تجنبه قدر الإمكان للحد من فوضى الطلاق.. والتحكيم في النزاع بين الزوجين قبل إيقاع الطلاق مأمور به شرعا، وعلى العلماء المختصين بالفتوى أن يأخذوا بأيسر الأقوال عند بيان الحكم الشرعي فيما يعرض عليهم من حالات الطلاق - ويجب تعويض الزوجة المشاركة في تنمية ثروة زوجها، بأن تأخذ من التركة قبل قسمتها ما يعادل حقها؛ إن علم مقداره، أو يتصالح عليه - بحسب ما يراه أهل الخبرة والحكمة - إن لم يعلم مقداره).

وفي الختام أرسل تحية خاصة للمرأة الفلسطينية البطلة الشجاعة التي هزمت ارادات جيوش عاتية مسلحة وانتصر على مؤامرات دولية وحافطة على أرضها ووطنها وترابها، شكرا لك أيتها المرأة الأنموذج الأمثل للصمود،



الأختام القرآنية في الكتابات

للأستاذ الصادق عبد اللطيف

يمثل التعليم القرآني في الكتابات الصورة المثلى لمجتمع تتحكم فيه أصالته وذاته وقيمه وتربيته ذلك أن الكتاب يعتبر . بما فيه - الركيزة الأساسية للتعليم الابتدائي إذ هو يؤهل الأطفال (و كان تعليما مختلطا) إلى تلقي أصول الكتابة وتمارين الذاكرة على الحفظ والتمرس على الاختلاط والمؤالفة وتكوين العلاقات ثم إلى امتلاك اللغة من خلال الآيات والصور والاستشهاد بهما عند الحاجة ولإعداد الأجيال للالتحاق بالتعليم العربي في الكلية الزيتونية العامرة وإذا كان للكتاب هذا دوره التربوي والديني فان الإقبال عليه يكون حتما متواصلا طيلة السنة لارتباط الآباء بذلك الوازع الديني ولذلك يحرص الآباء على ضم أبنائهم إليه طيلة السنة أملا في حفظ القرآن وختمه ثم القيام بدورة التبليغ فيما بعد ويقوم المؤدبون بدورهم الديني في تلقين القرآن الكريم والحرص على حفظه وانتشاره واستمرار العمل به كحجة إسلامية لأهل هذه الديار والوقوف به كسد أمام الغزو الفرنسي الذي يروم محو اللغة والكيان الوطن والديني من خلال العراقيل والدسائس التي يكيد لها لحاملي القرآن ولأهله وحفاظه وذلك بنشر أساليب السخرية منهم والخط من قيمتهم وسد أبواب الارتزاق أمامهم والعمل على نشر اللغة والثقافة الأجنبية إلى تبديل القيم ونبد الأصالة وكل ما له صلة بالتراث والذات لذلك يشتد تعلق المواطنين بالقرآن ويظهر ذلك جليا في شبكة الكتابات الواسعة والمكثفة في القرى والمدن والمداشر والمدن ثم في الأجيال التي تعاقبت على الكتابات والتحقت فيما بعد بالتعليم الديني في الزيتونة وكان لها دور في التعليم والقضاء والإدارة والمحاماة والوظيفة .

الكتاب إذا هو الركيزة الأولى لهذا التكوين ولذلك المستوى الاجتماعي الذي يناله أي مار به - أي بالكتاب- ويظهر التشجيع جليا في حفل التكريم الذي يقيم

الحافظ لكلام الله العزيز وفي الهدية - إذا كان موسراً - للمؤدب - وهي بقرة حلوب تسر الناظرين - ثم في اشتراك بقية التلاميذ في هذه التظاهرة الثقافية قبل أن تكون هناك مهر جانات بالصورة المتخمة الآن ببلادنا.

مهر جان حفظ القرآن الكريم تقيمه البلدة كلها للحافظ ويتعداه إلى المعنى البعيد في الحفاظ والمحافظة على القرآن الكريم باعتباره دستور البلاد والعباد ورمزنا الخالد وعنوان ذاتيتنا المميزة تشارك البلدة في الحفل لاي حافظ لكلام الله عندما يطوف بالبلدة وعلى رأسه لوحته المزيّنة مع أصدقائه وخلانته وأهله ومؤدبه والكل في تنقل بين الدكاكين والمقاهي والزوايا لجمع التبرعات لسيدنا المؤدب ثم لإشهار الحافظ حتى يكون الحفل حافظاً للبقية على الاقتداء والسير على هدي الحافظ القرآن وأثناء التنقل يردد الأطفال هذه الأرجوزة تحذوهم الرغبة في الوصول إلى الحفاظ تلك المرتبة والفوز بحفظ كلام الله وختمه انطلاقة من الفاتحة وانتهاء بالبقرة وهذا ما يقولون:

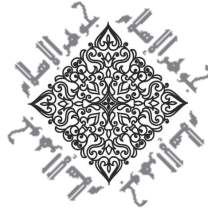
وهللوا وكبروا تكبيرا	صلوا على محمد كثيرا
الحمد لله الذي علمنا	كتابه وبالنبي فضلنا
نحمده حمداً مدى الوفاء	على عدد الرمل والحصاء
وبعدما أتيت بالوسيلة	الله، بما للقرآن والفضيلة
توسلنا بسم الله أو لا	وبالقرآن وعلى من نزلا
جئنا به الى ذوي الالباب	مفتاحه فاتحة الكتاب
نرجو ثواب الله والغفران	بسورة البقرة وبآل عمران
وسورة النساء والعقود	أفئنا يا رب على الحدود
وبالأنعام ثبتنا في الآخرة	وبالأعراف والانفال وبر
بيونس وهود بلغ قصدي	إلى الهدى ويوسف والرعد
بابراهيم وكذلك الحجر	و النحل ولا تميّتي في شعري
بالإسراء والكهف كذاك مريم	اغفر ذنوبي ما مضى ويأتي
بحق طه وبجاه الأنبياء	وسورة الحج تعافي ما بي
بالمؤمنين وكذلك النور	وما بفرقان سهل لي أموري
بالشعرا والنمل والقصاص	لأنني عبد مسيء عاص
بالعنكبوت وبالروم نهدي	وبلقمان وسورة سجدة
وبالأحزاب وسورة سبا	وفاطر جئت إليك راغبا
بحق ياسين وبالقطين	ثم بصاد وزمر تشفيني
يعافر الذنوب والزلات	اغفر لكل من خطا وندم
بحق فصلت وفضل شوري	اجعل ذنوبي كلها مغفورة

يردد الأطفال الصغار والكبار هذه الأرجوزة بإيمان عميق وتفاعل أمثل يحدوهم الأمل إلى تلك المنزلة من الحفظ والمقام الأسمى باعتباره حافظا لكلام الله وقيمه هذه الأرجوزة انها حفظت لنا مغزى ذلك التراث (أي القرآن) وأعطت صورة عن مظهر للثقافة الجماهيرية التي تتكاثر بازدياد الحفاظ.

و المتأمل جيدا في المحتوى يلمس مدى الترابط بين تسلسل السور والأدعية التي تصاحب كل مقطع وهو ما يذكرنا بالحفظ إذا نسي أحدهم ذلك التسلسل الترتيبي للسور. لقد انعدمت تلك الصور من الذاكرة التونسية تماما نتيجة التحولات في المفاهيم والقيم وفي التربية أيضا فقل الحفاظ وأوصدت الكتابات أبوابها واستبدل المؤدبون مهنهم الأصلية بأخرى نتيجة الكساد والعزوف عن الكتابات باعتبارها نقطة تخلف عند البعض منا، وصارت التهليل لا تسمع إلا في حفلات (الختان) ومع الموسيقى النحاسية وبتشويه للمغزى وما قصده المؤلف من بنائها.

تري ماذا يقع لو أن مؤدبا اليوم - وهو بعيد . أصلا اليوم بالذات نتيجة الأسباب التي طرقتها قدم تلميذا أتم البقرة وأقام حفلا بهذا اللون وبهذا الإنشاد وبهذا المغزى الديني والتربوي ماذا سيقول عنه الصعاليك وبقية المتفتحين وأهل التحرر وعامة الشباب.

بدون شك سوف يقف الكل موقف الرفض أو التقبل الفلكلوري لهذا المظهر الذي افتقد أصالته منا نتيجة التغريب والانبتات وأخرى بنا أن نعيد النظر في تراثنا ونعتر بأصوله ونفخر بأن لنا في مدننا وقرانا وهنا شرنا ومداشرنا وبوادينا أناسا يحفظون كلام الله وقد كرمناهم وأنشدنا في طفولتنا وألحنا في حفظ هذه الأرجوزة حتى تبقى متداولة بين الأجيال تشع خيرا وتفيض بركة وتوازنا واعتدالا في مجتمع ما إذا سار أهلوه على منحى القرآن وتواصوا على العمل به والسير على هديه تسلم الأجيال من التغريب والتمزق والإلحاد، وليست هذه الأرجوزة هي التي سترد موجة الإيمان لأهلينا وقرانا ومدننا ولكن ليتذكر القوم وأن التراث تمثله عدة عناصر منها ما يمسنا يوميا في مظهرنا ومسكننا وحياتنا وأثاثنا وتفكيرنا ومنها ما يلتصق بواقعنا كأمة مسلمة مجموع خصالها تكون تراثا يعز المرء الافتخار به والإشادة به واستمرار العمل به وما، أظن أمة تخلت عن جانب من تراثها تكون محترمة أمام الآخرين مهما تكن القوة المالية أو العسكرية أو السياسية إذا لم تصحبها قوة روحية قوة الإيمان والصفاء والحفاظ على الذات حتى تستمر جذوة الإيمان في الأجيال فلا يسقط المشعل على الدوام.



مجالات الفتوى الاجتهاد بين القطعي والظني من الأحكام

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

الامين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي جدة

لئن أسلفنا القول بأنّ ما انتهى إليه واضعو الموسوعة الفقهية من كون الفرق الثاوي بين الإفتاء والاجتهاد بأنّ الإفتاء يكون فيما علم قطعاً أو ظناً؛ وأما الاجتهاد، فيكون فيما علم ظناً لا قطعاً، فإنّنا نرى أن نوسع هذا الموضوع جانب التأصيل والتحقيق والتحليل اعتباراً لما له من أهمية بالغّة لكلتا الصناعتين: صناعة الفتوى وصناعة الاجتهاد في العصر الراهن.

إنّ كثيراً من عامّة المتعلّمين يرون أنّ الاجتهاد لا ينبغي له أن يغشى أو يمسّ القطعي من الأحكام مطلقاً، بل إنّ الاجتهاد لا يكون إلا فيما عُلِمَ ظناً، وأمّا ما عُلِمَ قطعاً، فإنّه يحظر على الاجتهاد المساس به.

إنّ هذا الرأي - كما أسلفنا - نابع عن تلك النظرة المرجوحة التي تُحاصر الاجتهاد في دائرة معرفة الحكم الشرعيّ فحسب، والحال أنّ هذا الاجتهاد لا يعدو أن يكون نوعاً واحداً من أنواع الاجتهاد المنشود؛ ذلك لأنّ الاجتهاد في مفهومه الدقيق الشامل عبارة عن بذل الوسع واستفراغ الطاقة ممن توافرت فيه شروطه، وذلك من أجل معرفة الحكم الشرعيّ، أو من أجل تطبيق الحكم الشرعيّ.

ومن ثمّ، فإنّ الاجتهاد النظريّ والتطبيقيّ يسع النّصّ الشرعيّ بأنواعه الستّة المعروفة، وهي النّصّ القطعيّ ثبوتاً ودلالةً، والنّصّ القطعيّ ثبوتاً لا دلالةً، والنّصّ القطعيّ دلالةً لا ثبوتاً، والنّصّ الظنيّ ثبوتاً ودلالةً، والنّصّ الظنيّ ثبوتاً لا دلالةً، والنّصّ الظنيّ دلالةً لا ثبوتاً.

وبناءً على هذا، فإن طبيعة النص من حيث القطع والظن هي التي تحدّد طبيعة الاجتهاد بين أن يكون اجتهاداً في معرفة الحكم الشرعي، أو اجتهاداً في تطبيق الحكم الشرعي، كما أن تلك الطبيعة هي التي تحدّد الجانب الذي يغشاه الاجتهاد في النص، فإذا كان النص قطعياً ثبوتاً ودلالةً انحصر الاجتهاد فيه في الاجتهاد في تطبيق مراميه ومقاصده، وأما إذا كان النص ظنياً ثبوتاً ودلالةً، فإن الاجتهاد فيه يسع الاجتهاد في التأكد من صحّة نسبته إلى مصدره، كما يسع الاجتهاد في ضبط الحكم الشرعي المراد منه. وبالنسبة للنص القطعي ثبوتاً لا دلالةً، فإن الاجتهاد فيه ينحصر في الاجتهاد في ضبط الحكم الشرعي وتطبيقه، ولا يطال الاجتهاد جانب الثبوت مادام قطعياً؛ وأما النص الظني دلالةً لا ثبوتاً، فإن الاجتهاد يتمحور حول ضبط الحكم الشرعي منه وتطبيقه، ولا يمس جانب الثبوت ما دام قطعياً.

وانطلاقاً من هذا، فإن الاجتهاد لا يختلف بأي حال من الأحوال عن الفتوى في مجالات كل واحدٍ منهما - كما قرّنا ذلك سابقاً - وبتعبير آخر، يستوي الإفتاء والاجتهاد في كون كل واحدٍ منهما جارياً وجائزاً فيما عُلِمَ ظناً أو قطعاً، ذلك اعتباراً بأن الاجتهاد في حقيقته ينقسم - كما سبق - إلى قسمين أساسيين، وهما: الاجتهاد النظري (= الاجتهاد في معرفة الحكم الشرعي من صناعة الفتوى المعاصرة النص)، والاجتهاد التطبيقي (= الاجتهاد في تنزيل الحكم الشرعي على المراد من النص).

فأما الاجتهاد النظري الذي يروم معرفة حكم الله في مسألة من المسائل، فإنه لا يحق له أن يغشى الجانب القطعي في النصوص سواء في دلالتها أم في ثبوتها أم فيهما معاً؛ ذلك لأن القطعية في نص ما تعني عدم حاجة ذلك النص إلى اجتهاد ليبيان معناه لوضوحه وجلائه؛ ولا حاجة إلى مزيد إيضاح أو بيان.

وأما الاجتهاد التطبيقي (= الاجتهاد التنزيلي) الذي يهدف إلى تطبيق حكم الشرع في الوقائع المختلفة، فإنه يغشى النصوص كلها، ولا يسلم منه نص في حقيقة الأمر، ذلك لأنه يعدّ عملية وصل بين الوحي والواقع الذي يراد تطويعه، وهذه العملية تتطلب درجة من النظر والتبصر والتفكير، وتلك الدرجة هي المسماة بالاجتهاد التطبيقي، أي تطبيق مراد الشرع الصريح أو المستنبط على واقع من الوقائع.

فعلى سبيل المثال، يعد قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُولَّيْكُمْ شَأْنُكُمْ عَذَابُهُمْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]، نصاً قطعياً في ثبوته ودلالته، وبالتالي، لا يصح فيه اجتهاد على المستوى النظري، ولكنه يصح فيه اجتهاد بل يجب فيه اجتهاد

على المستوى التطبيقي المتمثل في تحديد طريقة تطبيق هذه العقوبة على الزنا والزواني في واقعات مختلفة ومتفاوتة وحسب أحوالهم من حيث الصحة وعدمها... الخ، فللمجتهد أن يجتهد في الكيفية، والزمن، والمكان، والمال. عندالهم بتطبيق هذا الحكم الشرعي على فرد من الأفراد في عصر من العصور.

أجل، إننا نبادر إلى تبديد ما قد يثار من غرابة أو استغراب على هذا الإطلاق غير المعهود في الدراسات الأصولية الحديثة، وذلك بالتأكيد والتقرير على أن أئمة المحققين من الأصوليين كالإمام الشافعي والإمام الشاطبي والإمام القرافي وغيرهم، قد عنوا بالتنصيص على هذا النوع من الاجتهاد الذي نخاله الاجتهاد الذي لم ينل حقه بعد من التحقيق والتحرير والتحليل، وقد سماه الإمام الشاطبي في موافقاته الموافقة بأنه الاجتهاد الذي لا يمكن له أن ينقطع إلى قيام الساعة، وهذا نص ما قاله بهذا الصدد: الاجتهاد على ضربين: أحدهما: لا يمكن أن ينقطع حتى ينقطع أصل التكليف، وذلك عند قيام الساعة.

والثاني: يمكن أن ينقطع قبل فناء الدنيا. فأما الأول: فهو الاجتهاد المتعلق بتحقيق المناط، وهو الذي لا خلاف بين الأمة في قبوله؛ ومعناه أن يثبت الحكم بمدركه الشرعي، لكن يبقى النظر في تعيين محله، وذلك أن الشارع إذا قال: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق: 3]، وثبت عندنا معنى العدالة شرعاً، افتقرنا إلى تعيين من حصلت فيه هذه الصفة، وليس الناس في وصف العدالة على حد سواء، بل ذلك يختلف اختلافاً متبايناً، فإننا إذا تأملنا العدول وجدنا لا تصافهم بها طرفين وواسطة: طرف أعلى من العدالة. لا إشكال فيه، كأبي بكر الصديق، وطرف آخر: وهو أول درجة في الخروج عن مقتضى الوصف، كالمجاورة لمرتبة الكفر إلى الحكم بمجرد الإسلام، فضلاً عن مرتكبي الكبائر المحدودين فيها، وبينهما مراتب لا تنحصر، وهذا الوسط غامض، لا بد فيه من بلوغ حد الوسع، وهو الاجتهاد.. فالحاصل: أنه - هذا الاجتهاد - لا بد منه بالنسبة إلى كل ناظر، وحاكم، ومفت، بل بالنسبة إلى كل مكلف في نفسه.⁽¹⁾

وأما الإمام الشافعي، فقد سبق أن أشار إلى هذا النوع من الاجتهاد في رسالته الغراء، فقال ما نصّه: ومنه: ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد، كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم.. فوجههم بالقبلة إلى المسجد الحرام، وقال لنبیه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:

(1) نظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، شرح الشيخ دراز، واعتناء الشيخ رمضان (بيروت، دار المعرفة، طبعة أولى 1994م) ج 4 ص 725-726 باختصار.

144].. فللهم جل ثناؤه إذا غابوا عن عين المسجد الحرام على صواب الاجتهاد، مما فرض عليهم منه بالعقول التي ركب فيهم المميّزة بين الأشياء وأضدادها، والعلامات التي نصب لهم دون عين المسجد الحرام الذي أمرهم بالتوجه شطره.. ففرض عليهم الاجتهاد بالتوجه شطر المسجد الحرام مما دلّهم عليه مما وصفت، فكانوا ما كانوا مجتهدين غير مزايلين أمره جلّ ثناؤه، ولم يجعل لهم إذا غاب عنهم عين المسجد الحرام أن يصلوا حيث شاؤوا.⁽¹⁾

بيد أنّ هذه الإشارة الشفعية الهادئة إلى هذا النوع من الاجتهاد لم تحظ بعده بما تستحق من التأصيل والتحقيق والتحرير، بل إنّ التخوف والتوجس من الاجتهاد النظريّ الذي ألقى بظلاله على الواقع الإسلاميّ عشية أفول شمس القرن الثالث الهجري، يعدّ أحد العوامل التي حالت دون تعميق البحث في هذا النوع المهمّ من أنواع الاجتهاد. ليا وتعبير آخر، إذا كان الاجتهاد التطبيقيّ اجتهاداً لا يُشكّ في مشروعيتّه وضرورته، غير أنّه مع ذلك ظلّ البحث فيه محدوداً وضيّقاً ومكروراً، ولم تشهد مباحثه وموضوعاته ذلك القدر المرجوّ من التأصيل العلميّ والتمكين العمليّ من ممارسته، وذلك نتيجة تلك الظروف الفكرية الاستثنائية التي عمّت الأرجاء عند مقدم القرن الرابع الهجريّ، حيث أمسى التقليد في كل شيء أصلاً لا يحاد عنه، كما أضحى تجديد النظر فيما اجتهد فيه الأولون محظوراً لا يحق لا مرئ التفكير فيه.

أمام هذا الوضع الفكري المتراجع والمتآكل، حيّل دون الاجتهاد التنزيليّ ودون التأصيل والتحقيق والتحرير!!

وصفوة القول، إنّ كلاً من الإفتاء والاجتهاد يكونان في القطعيّ والظنيّ من الأحكام، وطبيعة النصّ هي التي تحدّد طبيعة الاجتهاد وطبيعة الفتوى.

فإذا كان النصّ قطعياً انحسرت فيه دائرة الاجتهاد والفتوى في تطبيقه وتنزيله على الوقائع، وأما إذا كان النصّ ظنيّاً، فإنّ الاجتهاد والفتوى يطالان فهمه، كما يطالان تطبيقه على حدّ سواء.

وعلى العموم، سنقوم بسياحة هادئة في أدوات هذه الصناعة، في آدابها، ثم ضوابطها، ومنهجية تنظيمها في ضوء الواقع المعاصر، وذلك في الفصول القادمة، سائلين المولى العليم العون الفكريّ والسداد العلميّ والثبات المنهجيّ، إن نريد إلا الإصلاح ما استطعنا، وما توفيقنا إلا به، وهو مولانا ووليّنا في الدنيا والآخرة.

(1) انظر: الرسالة: الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر (بيروت، المكتبة العلمية..) ص 22-24 باختصار وتصرف.



في رياض السنة

الحديث الخامس والثلاثون من الأربعين النووية ما حرّمه الله على المسلمين نحو بعضهم البعض

بقلم : الاستاذ صلاح الدين المستاوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». رواه مسلم

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه وقد أوردنا فيما سبق جوانب من سيرته العطرة وملازمته الطويلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم تكن له تجارة ولا فلاحه تشغله عن أن يكون دائم الحضور لمجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى عنه هديه التوجيه ويبلغه عنه لبقية أصحابه وللأمة على تعاقب أجيالها. والأحاديث التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه تعاضد بعضها البعض وتقوي بعضها البعض ترسخ في قلوب المؤمنين ما جاءهم من عند الله مما أوحى به سبحانه وتعالى لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وهذا الحديث الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام ومن بيانه المحكم الواضح الجلي الذي تستبين به للمسلم المعالم فيقف عند حدود الله لا يتجاوزها ولا يتعداها.

وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعها من نبع واحد صاف عذب يروي العطاش وينزل بردا وسلاما على قلوب المؤمنين.

ورد هذا الحديث في صيغة النهي ولا ينهى الله ولا ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عما فيه ضرر وشر، فالله تبارك وتعالى هو العليم بما يصلح لعباده والعليم سبحانه وتعالى بما يضرهم ولأجل ذلك فإن موقف المسلم لا يمكن أن يكون إلا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ يقول دائما عند بلوغه النهي عن أي أمر «انتهينا انتهينا» تلك كانت حال سلف الأمة الصالح بعدما تغلغل الإيمان في قلوبهم فإنهم لم يحتاجوا لمن يلزمهم بالانتهاء سمعوا قول ربهم في كتابه العزيز ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لقد سلموا تسليما صادقا ظاهرا وباطنا لسانا ومقالا.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يحذرون شديد الحذر من الوقوع في ما يغضب الله مما حرّمه عليهم قال أحدهم «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه».

ولا شك ان كل ما ينهى الله عنه وما ينهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه فائدة أو ان فائدته من ورائها أضرار أخرى لا يلبث أن يهتدي إليها كل عاقل سليم التفكير وهذا الحديث الجامع وقد أوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم يندرج ضمن هديه عليه الصلاة والسلام في مكارم الأخلاق التي بعث لإتمامها «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نظرية شاملة متكاملة في مكارم الأخلاق كان فيها النموذج والقُدوة والأسوة فقد قال فيه ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وهي فعل وترك. وقد بدأ عليه الصلاة والسلام بالتخلية أي بالنهي عن كل خلق ذميم وأتم بالتخلية بحيث لم يترك عليه الصلاة والسلام خلقا كريما إلا وهدى إليه أمتة.

والمطلوب من المؤمن هو أن يبدأ بالمتروكات المنهيات فينتهي عنها جميعا ثم يأتي بعد ذلك ما استطاع مما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا بقوله عليه الصلاة والسلام «أمرتكم بأشياء فاتوا منها ما استطعتم ونهيتكم عن أشياء انتهوا عنها جميعا» ومن رحمة الله بنا معاشر المسلمين انه لم يجعل لنا خيرا ولا منفعة ولا مصلحة كاملة وحقيقية فيما نهانا عنه ورحمة من الله بنا معاشر المسلمين انه ما أغلق عنا بابا من أبواب الحرام إلا وفتح لنا في مقابل ذلك أبوابا في الحلال فيها العوض وزيادة والحمد لله على نعمة الإسلام.

يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي عن الحسد فيقول «لا تحاسدوا» وهو خطاب من الله سبحانه وتعالى لكل المكلفين. أي لا يحسد بعضكم بعضا والحسد لغة وشرعا هو «تمني زوال نعمة الغير سواء بانتقالها إليه أم لا» وهو من أعظم الذنوب والمعاصي وهو في الحقيقة والواقع سخط على الله وعدم رضى بقسمته بين عباده، وقد حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة منها قوله عليه الصلاة والسلام «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال الخشب» وقال عليه الصلاة والسلام «الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل» وهو أول ذنب عصي به المولى فابليس اللعين لم يسجد لآدم ولم يمثل لأمر الله فلغنه الله واطرده من الجنة وكل حسود سائر في نهج إبليس وهو مستحق إن لم يتب لنفس العقاب الذي عاقب به الله تبارك وتعالى إبليس اللعين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». وقد قيل «الحسود لا يسود».

وقيل إن موسى عليه السلام رأى رجلا عند العرش فغبطه «والغبطة غير الحسد» وقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال حدثك عم عمله بثلاث «كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشي بالنميمة». وإذا كان الحسد حراما فإن الغبطة وهي التمني على الله أن يعطي لعبده مثل ذلك النعيم أو حتى أكثر منه فذلك جائز لأن الله غني وكريم وقادر على كفاية كل خلقه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا حسد (أي لا غبطة) إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس».

وفي ذم الحسد وردت آثار وأشعار كثيرة منها قول بعضهم :

«اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله»
وقال آخر :

«ألا قل لمن ظلّ لي حاسدا أتدري على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله في حكمه إذا أنت لم ترض لي ما وهب»

ثم قال عليه الصلاة والسلام «ولا تناجشوا...» من النجش وهو لغة الإغراء والإثارة واصطلاحاً الزيادة في المبيع لأجل غرور الغير وقيل النهي عن التناجش هو النهي عن الإغراء على الشر والخصومة والتناجش مما يغير القلوب على بعضها البعض ويجعلها تتباغض عوض أن تتحاب.

«ولا تباغضوا...» وهو الكراهية وما إليها من الضغائن والأحقاد التي تتنافى مع الإيمان ولا تجتمع معه في قلب مسلم.
فالمسلم لا يبغيض ولا يكره إلا لله.

والرسول صلى الله عليه وسلم ينهى المسلمين عن كل ما يمكن أن يوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء.

«ولا تدابروا» والتدابير يكون بالتكلم بالغيبة والبهتان من وراء ظهور إخوانهم وهو محرم في دين الإسلام وهدي سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ويكون التدابر بالهجران والقطيعة وقد نهت عنهما آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام». وفي رواية «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

وأخرج مسلم «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله إلا امرئ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول اتركوا هذين حتى يصطلحا».

«ولا يبيع بعضهم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا» فالبيع على بيع الأخ من شأنه أن يغير القلوب والأنفس على بعضها البعض وهو يتنافى مع صدق الإيمان وإخلاصه إذ لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وكل ما يمكن أن يجعل هذه المرتبة (المحبة) تضعف نهى الإسلام عنه فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يبيع المسلم على بيع أخيه ونهى عليه الصلاة والسلام على الخطبة على خطبة الأخ فللأخوة حرمة قال جل من قائل (إنما المؤمنون أخوة) هذه الأخوة في الإيمان أقوى من أخوة النسب وغيرها من الروابط وهي تفرض على المؤمنين حقوقاً نحو بعضهم البعض وتمنعهم من أن يرتكبوا في حق إخوانهم أي نوع من أنواع الظلم والعدوان مهما كان صغيراً يستهان به.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث يبين للمؤمنين ما حرمه عليهم نحو بعضهم البعض.

«لا يظلمه» والظلم بكل أنواعه حرام في دين الإسلام، إن الظلم ظلمات يوم القيامة والظالم تهدده المولى سبحانه وتعالى بالعقاب الشديد حيث قال «دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب» ويقول المولى في الحديث القدسي للمظلوم «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

إن الظلم عموماً حرام وهو أشد حرمة في حق الأخ المؤمن.

و«لا يخذله» إن الأخوة بين المؤمنين تفرض عليهم نصرة بعضهم البعض فهم يد على من سواهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل له كيف ينصره ظالماً.» قال «يمنعه من الظلم».

و«لا يكذبه» والكذب كبيرة من الكبائر نهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام «لا يكذب المؤمن» وقال «إن المرء ليكذب ويكذب حتى يكتب عند الله كذاب».

والكذب من علامات النفاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان» وفي الحديث الآخر «إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به» وقال عليه الصلاة والسلام «إن في المعارض لمندوحه عن الكذب» وقد فصل العلماء القول في المواطن التي يجوز أن يقال فيها غير الحق وذلك مثل إنقاذ نفس بشرية من شر أو ضرر أو هلاك متوقع أو الإصلاح بين متخاصمين كأن يحسن لكل منهما صورته عند الآخر دون أن يقع التجاوز لما به الحاجة من هذا النوع من الكلام الذي يراد به الإصلاح والله وحده العليم بالنوايا والمقاصد وقد قال الإمام مالك «لا خير في الكذب».

«ولا يحقره» ومظاهر الاحتقار والتعالي والكبرياء كثيرة وقد حرمها الله تبارك وتعالى على عباده وتكون بالنظر وبترك السلام أو ترك رده وكل مظاهر الاستصغار.

والمتكبرون يتوعدهم الله سبحانه وتعالى بعقابه الشديد الذي لا يبقي ولا يذر «العظمة ردائي والكبرياء إزارى فمن شاركني فيهما قصفته».

والمتكبرون المتعالون مساكين لو نظروا في أنفسهم التي بين جنوبهم لرأوا ضعفهم وحقارتهم فكل الناس من تراب وهم جميعاً آيلون إلى التراب وكل الناس أصلهم نطفة قدرة وكل الناس يحملون العذرة وكل الناس نهايتهم جيفة آيلة إلى

الدود والتراب فلم التعالي والتكبر؟ ولماذا يحتقر هؤلاء المتكبرون إخوانهم الذين قد يكونون أفضل منهم عند الله واقرب إليه منهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رب أشعث اغبر ذي طمرين خلقين لا يعبا به لو أقسم على الله لأبره» يقول عليه الصلاة والسلام «لا يحل لمسلم أن يشير أو ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه».

«التقوى ههنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم» يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقيقة لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان ألا وهي أن التقوى محلها القلب الذي لا يعلم ما فيه إلا الله «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» «فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل» إن الله لا ينظر إلى صور الناس ولا إلى وجوههم وفي هذا التوجيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حفظ لألستهم من أن تنطلق ظلما وبهتاناً في الحكم على الناس بالكفر.

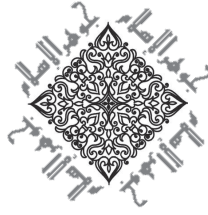
التقوى والإيمان محلها القلب وهما لا يعلمهما إلا الله ولا يعلم الصدق فيهما والإخلاص فيهما إلا المولى سبحانه الذي لا تغره المظاهر والشكليات، إن السخرية والاحتقار حرام في دين الإسلام يقول جل من قائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ﴾.

«بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم» أي يكفيه شرا وإثما يتسبب به لنفسه في غضب الله عليه ان يحقر أخاه المسلم.

ويختتم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث الجامع بالتذكير بحقيقة هي مسك الختام وهي خير ما ينهى به حديثه فيقول «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» الله الله ما ابلغها من خاتمة وما أحوج المسلمين إلى أن يقفوا عند هذا التذكير من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان كل المسلم على المسلم حرام، دم المسلم حرام وقاتل نفس مؤمنة ظلما وعدوانا بإضممار وعن تعمد مرتكب لأعظم ذنب تنزل له السماوات والأرض انه كقاتل الناس جميعا ويل له ثم ويل له ثم ويل له.

وكذلك مال المسلم لا يجوز الاعتداء عليه واغتصابه واكله بالباطل ومن آكل مال المسلم ظلما وعدوانا إنما يأكل في بطنه نارا.

وعرض المسلم حرام أن ينتهك ويعتدى عليه فيفتري عليه ويقذف كذبا وبهتاناً والذين ينالون من أعراض الناس حذرنا الله منهم واعتبرهم فساقا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ صدق الله العظيم.



الحرمان الشريفان وجامع الزيتونة

بقلم : الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان (مكة المكرمة)

عبد الله بن أبي حسان اليحصبي المتوفى سنة سبع وعشرين ومائتين، وهو ابن سبع وثمانين سنة.⁽¹⁾

قال أبو علي بن أبي سعيد في كتابه هو من أشرف افريقية، بشرف أبيه، وبيته، وفقهه، وأدبه، وكان يسكن القيروان بحارة يحصب المنسوبة إليهم، وأبوه من عربها البلديين من أنفسهم.

قال أبو العرب: ورحل إلى مالك فكان عنده مكرماً.⁽²⁾

يذكر أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي قصة دخوله على الإمام مالك. واستقبله استقبالاً حسناً في سياق وصفه لمجلس الإمام مالك رحمه الله قائلاً: أتيت إلى مالك بن أنس فأصبته قد ارتفع، وباب داره مغلق، فدفت الباب فخرجت إليّ جارية صفراء فقالت لي: من أهل المسائل أنت أم من أهل الحوائج؟ فقلت لها: رجل غريب أتيت إلى أبي عبد الله مسلماً عليه.

فقالت لي: ليس هذا وقتك ادخل السقيفة فدخلت فلما كان وقت خروجه فتحت الباب فإذا بمجلس كبير مفروش بالنمارق، والمتكات من أول المجلس إلى آخره، وفي صدر المجلس نمرقة عظيمة، ومتكأة على اليمين، وأخرى على الشمال، وأخرى على الحائط فقلت في نفسي: هذا مجلس الشيخ، ثم دخلت فخرجت الجارية، وفي حضنها مراوح فوضعت على كل متكأ مروحة، ثم دخل مشائخ فقعدوا، ثم خرج مالك يتهدى

(1) المالكي، عبد الله بن محمد، رياض النفوس، ج 1 ص 254، 264، 263

(2) أبو العرب محمد، طبقات علماء افريقية وتونس، ص 156

بين تلك الجارية.⁽¹⁾ الصفراء وفتى، ورجلاه تخطان في الأرض من الكبر، وكأني أنظر إلى جماله وبهائه، وإلى شعر رأسه قد تعقف جعودة حتى أتيا به إلى ذلك المجلس. فجلس وسوى عليه ثيابه، فلما استوى قاعداً سلم، فعم بسلامه، فردوا عليه السلام، فقمت إليه بالكتاب فدفعته إليه. فقال لي: عاد صاحبك إلى القضاء؟ فقلت: نعم فقال: ما ذاك بخير له، ثم قرأ الكتاب فالتفت إلى القوم فقال لهم (هذا كتاب ابن غانم أتاني في هذا الرجل يخبرني عن حاله في بلده وقدره، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا جاءكم عميد قوم فأكرموه) قال: فقمت من بين يديه فأوسع لي رجل فجلست، فذكروا له العلم فقال: لا يؤخذ هذا العلم إلا عن الموثوق بهم في دينهم، الحسن [مخبرهم].

قال ابن أبي حسان: ثم يأتي الرجل فيسأله عن المسألة وأنا قاعد، وقد أخذ بضبعيه، فربما قال: العلم أوسع من ذلك، العلم أوسع من ذلك والله أعلم. فسئل عن ثنتين وعشرين مسألة وأنا أحسبها، فما أجاب إلا في ثنتين منها، ولم يجب إلا في الاثنتين منها، إلا أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله. قال ابن أبي حسان: ثم اختلفت إليه فلم يزل مكرماً لي رحمة الله ورضوانه عليه.⁽²⁾

عرف الجميع مكانة ابن أبي حسان عند الإمام مالك رحمه الله كما يتبين من القصة التالية:

(جاء رجل إلى ابن وهب فأخبر بموت ابن غانم، فاسترجع ابن وهب، فقال: من ولي بعده؟ قال أبو محرز، قال: ما أعرفه، قال: فأين ابن أبي حسان؟ فوالله ما رأيت مالكاً أميل إلى أحد منه إليه.⁽³⁾

تقدير الإمام مالك، وإجلاله لعلماء تونس

حظي فقهاء تونس الوافدون إلى الحجاز، القاصدون التلقي عن أئمتهم وفقهائهم وفي مقدمتهم إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه بتقدير كبير، وإجلال عظيم، تجلى في مظاهرة عديدة:

إيثارهم بدنوهم من مجلسه، إعلانه عن تقديرهم وعلو شأنهم على رؤوس الملاء، مكاتباته لهم، دوام الاتصال بهم، اهتمامه بأمورهم، بذل النصيح لهم فيما يعترضهم من

(1) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 2 ص 310

(2) أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي، طبقات إفريقية وتونس، ص 170-171-

(3) الوزير السراج، محمد بن محمد، الحلل السندسية، الطبعة الأولى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، عام 1985 م) ج 1، ص 739.

شؤونهم. كل هذا وغيره مما دونه التاريخ، بل وصل به الحب إلى أن يقدم فلذة كبده ابنته أن تكون زوجة لعبد الله بن عمر بن غانم، كما سبق وروده خلال العرض السابق. الشواهد على المعاملة المتميزة التي حظي بها فقهاء تونس الوافدون على الإمام مالك كثيرة، وعديدة، امتلات بها كتب التراجم، وهو اعتراف بمكانتهم وعلو قدرهم. اختيار المرء دليل عقله وعنوان فضله:

إن اختيار الرعيل الأول من التونسيين الزيتونيين أن يؤموا بوجوههم إلى الحرمين الشريفين وإيثارهما على غيرهما من الأمصار الإسلامية التي انتشر فيها الصحابة والتابعون، والأئمة من بعدهم كان عن قصد للأفضل، والأعلم، والأشرف؛ ذلك أن الحرمين الشريفين قريبان زماناً من مشكاة النبوة، ومصدر النور، يحتفظان بصفاء أجوائهما العلمية، والروحية، لم يكدره الفكر الدخيل، يضمنا صفوة الأمة وخلاصة الأئمة. مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين أصبح مذاهب أهل المدائن الإسلامية شرقاً وغرباً في الأصول والفروع في التدليل على هذه الحقيقة النيرة، والتزكية الرفيعة يضيف شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية قائلاً: (ومما يوضح الأمر في ذلك: أن سائر أمصار المسلمين غير الكوفة كانوا منقادين لعلم أهل المدينة، لا يعدون أنفسهم أكفاءهم في العلم كأهل الشام، ومصر مثل الأوزاعي، ومن قبل ومن بعد من الشاميين، ومثل الليث من مصر، ومن قبل ومن بعد من المصريين، وإن تعظيمهم لعمل أهل المدينة، واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر، بين، وكذلك علماء أهل البصرة كأيوب، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن ابن مهدي، وأمثالهم).

ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة في هذه الأمصار.. ومما يوضح الأمر في ذلك أن العلم:

إما رواية، وإما رأي، وأهل المدينة أصبح أهل المدن رواية ورأياً، وأما حديثهم فأصبح الأحاديث، وقد اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصبح الأحاديث أحاديث أهل المدينة.⁽¹⁾

وأما الفقه والرأي فقد علم أن أهل المدينة لم يكن فيهم من ابتدع بدعة في أصول الدين.⁽²⁾

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. ج 20، ص 316.

(2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ج 20، ص 316، 318، 320.

يختم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حديثه قائلاً: وهذا باب يطول تتبعه، ولو استقصينا فضل علماء أهل المدينة وصحة أصولهم لطال الكلام.

إذا تبين ذلك: فلا ريب عند أحد أن مالكا رضي الله عنه أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورأياً، فإنه لم يكن في عصره ولا بعده أقوم بذلك منه، كان له من المكانة عند أهل الإسلام . الخاص والعام. مالا يخفى على من له بالعلم أدنى إلمام.⁽¹⁾

هذه هي أهم أسباب إيثار الرائدة الأوائل من علماء تونس الأكابر، وأئمة الأعلام في التوجه إلى علوم أهل الحرمين الشريفين، والمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة، وأتم التسليم بخاصة، أثبت الزمن صحته وسلامته.

ومن ثم يصدق قول العلامة الفقيه الزيتوني فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله بأن: انتشار المذهب المالكي سواء في إفريقية، أو الأندلس يرجع إلى هش النفوس له (وترحيبها به)؛ لأنه مذهب بني علي حديث أهل الحجاز، وهم الصفوة والكثرة من الصحابة والتابعين، وإلى تعطشها إلى الوصول إلى المذهب الذي تتمثل السنة النبوية في أقوى رجالها فيه، وأي مكان يوجد فيه تحقيق هذه الرغبة خيراً من المدينة المنورة؟ فلذلك أقبل أهل إفريقية على مذهب مالك، وكذلك أهل الأندلس.⁽²⁾

وهي شهادة تصدر من أئمة محراب الجامع الأعظم جامع الزيتونة ورجاله الأكابر، الأكارم.

انتشرت علوم الإسلام وبخاصة فقه الإمام مالك رحمه الله في جامعي الزيتونة والقيروان بفضل من الله جل وعلا، ثم بجهود الرائدة من الزيتونيين وخلفهم رحمهم الله في عموم إفريقية.

يبرز القاضي عياض اليحصبي رحمه الله هذه الحقيقة التاريخية المشرقة تنوياً بجهود الرعية الأولى من الفقهاء التونسيين الذين وفدوا إلى المدينة النبوية المنورة موجزاً تاريخ المذهب المالكي مداً وجزراً في العبارات التالية:

وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد، وابن أشرس، والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس، ولم يزل يفسو إلى أن جاء

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن حنبل 316 0 .

(2) النيفر، محمد الشاذلي، تقديمه لموطأ الإمام مالك قطعة منه بروايته ابن زياد، الطبعة الخامسة، بيروت: داي الغرب الإسلامي، 1984م، ص 31.

سحنون فغلب في أيامه، وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا..

وكان بالقيروان قوم قلة في القديم أخذوا بمذهب الشافعي، ودخلها شيء من مذهب داود، ولكن الغالب عليها مذهب المدينة والكوفة، وكان الظهور في دولة بني عبيد لمذهب الكوفيين لموافقتهم إياهم في مسألة التفضيل، فكان فيهم القضاء والرياسة.

وتشرق منهم قوم تقمنا لمسراتهم، واصطيدا لدنياهم، وأخرجوا أضغانهم على المدنيين، فجرت على المالكية في تلك المدة محن، ولكنهم مع ذلك كثير، والعامّة تقتدى بهم، والناشئ فيهم ظاهر، إلى أن ضعفت دولة بني عبيد بها من لدن فتنة أبي يزيد الخارجي، فظهروا وفشوا عليهم، وصنفوا المصنفات الجليلة، وقام منهم أئمة جلة طار ذكرهم بأقطار الأرض، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن خرجت القيروان وأهلها وجهاتها، وسائر بلاد المغرب مصفقة على هذا المذهب، مجتمعة عليه، لا يعرف لغيره بها قائم. أثمرت الرحلة إلى الحرمين الشريفين، والتلقي على الأئمة فيها في إيجاد فريق من العلماء والفقهاء الكبار كان لهم نشاطهم في إبراز دور جامع الزيتونة، وجامع القيروان، واستقطاب الطلاب إليهما، وكان لهما ولعلمائهما الفضل الكبير في نشر مذهب الإمام مالك وترسيخه في هذا الجزء الكبير من العالم الإسلامي، وليس من المبالغة في شيء أن يقال: (لولا العاصمتان الأفريقيتان: تونس والقيروان لما راج المذهب المالكي ذلك الرواج، فإن الشرق اشتغل بغيره).

البذرتان الأوليان هما: موطأ بن زياد، ثم مدونة سحنون.

الكتاب الأول: الزيادي حفظ الأصول لهذا المذهب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما استخرجه الإمام.

والكتاب الثاني: جمع فأوعى، جمع ما أفتى به الإمام، وما أجاب به، وبذلك أصبح المذهب مجموع الأطراف أصولاً وفروعاً.

كان لتلك الطليعة المباركة من أبناء هذه الجامع المبارك دور كبير في ترسيخ تلك العلاقات ونموها، يذكر التاريخ أسماءهم بكل فخر واعتزاز؛ تقديراً لجهودهم التي أثمرت أجيالاً من العلماء النابيين الذين قدموا أداً فكرياً متميزاً للأمة الإسلامية، وخلال دراساتهم ومؤلفاتهم، كان لهم دورهم المتميز في خدمة علوم الحرمين الشريفين، لئن كانت البداية من الحرمين الشريفين: مكة، والمدينة فمن الإنصاف القول: بأنه لولا جامع الزيتونة والقيروان لما راج مذهب أهل المدينة بل مذهب مالك بخاصة هذا الرواج ولما قيض له البقاء.



مفاهيم إسلامية

القرآن الكريم دستور الإنسانية الخالد

بقلم : الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يرى المتتبع لأحوال المجتمع بدقة وتأمل أن جل المشاكل التي تعترض سبيل الناس فتصبح مثار خلافاتهم المستحكمة ومبعث خصوماتهم المستشرية ليس من الأمور الخارجة عن نطاقهم أو التي ساقها لهم القدر بدون كسب واختيار بل هي في مجموعها من صنيع أيديهم أقدموا عليها بإرادة واختيار تامين ولو استعملوا ما وهبهم الله من أدوات إدراك أهمها العقل المتسلح بسلاح الإيمان المتنور بأنوار المعرفة المتصل بتعليمات السماء لو استعملوا هذه الأدوات المتنورة لجنبوا الناس وجنبوا أنفسهم المصاعب والمشاكل والأزمات.

ليس بين العقلاء من لم ير ويسمع أن حبل الباطل قصير وان مغالطة النفس ومغالطة الناس ضرب من الشعوذة والكذب وأنها مهما دامت وسترت لا بد أن تهتك أستارها وتزاح حجبتها فنبدو الحقيقة سافرة وضاحة وتظهر دمامة الكذب والكذابين وتنظر كل العيون إليهم شزرا وتكال لهم اللعنات واللكمات ويندمون بعد فوات الفوات ورغم عشرات الصور الناطقة والأحداث المؤلمة رغم تكرر مشاهدتها وصورها ورغم ملامستها للناس وفي حياتهم من بعيد ومن قريب ومن اقرب رغم كل ذلك نرى الذين درجوا على الكذب والمغالطة والدجل يغمضون أعينهم عن النتائج المؤلمة المؤسفة ويستأنفون سيرهم على النحو الذي تعودوا أن يسيروا عليه اللهم إلا في حالات نادرة شاذة هي حالات المؤمنين التائبين الذين أوقفتهم التجربة العميقة الطويلة على حقائق أنفسهم وحقائق الناس وأوقفتهم أيضا على أن الله الذي أمدهم بالحياة والأسباب لا يرضى لهم ولا يحب منهم إلا الخير والطهر، والبر والإحسان، والحب والإخلاص ومن فعل غير ذلك فهو كمن يسعى إلى حتفه بظلفه ويحفر رمسه بيده ويسوق الخراب والدمار إلى بيته وأهله، وإذا ما تكشف

هذه الصور وتجلت هذه الحقائق أمام بصائر وأبصارهم اندفعوا إلى الهدى والرشاد اندفاعاً تلقائياً ليس مرده إلى الطاعة والامتثال والخوف والرجاء فقط بل مرده أولاً إلى توخي المصلحة الشخصية التي لن تكون أبداً إلا في الصدق والتزامه والحب والرحمة والمداومة عليها.

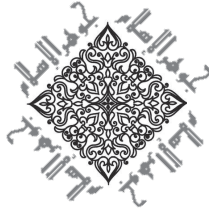
وان الذين آمنوا بالله وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليجدون فيما أنزله الله عليهم من كتاب وما أمدهم به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من توجيهات وتعليمات ما يكفيهم مؤونة البحث والتجارب الطويلة الفاشلة ذلك أن كل آية قرآنية وكل حديث نبوي إذا تأملها الراسخون في العلم سوف يجدون أن تحت كل حرف إشارة ومغزى وعبرة وحكمة وان الخير العاجل والآجل لن يكونا أبداً في غير ما خطاه من سبيل وبيناه من سلوك، وما ارتطم المرتطمون بالخيبات المريرة وأصيب المصابون بالفشل الذريع إلا لأنهم لم يعيروا تعاليم السماء ما تستحقه من اعتبار واهتمام ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم زاعمين انه صالح للرفي والتعاويد ومجعول ليقرأ على الأموات تبريكا واسترحاما، في حين انه دستور الإنسانية الخالد الذي لم يترك شاردة ولا واردة مما يهم الإنسان ويتعلق بحياته القريية والبعيدة إلا أبانها ووضحها ووضع النقاط فيها على الأحرف (ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة).

لقد حذر القرآن أمة سيدنا محمد عليه السلام من ركوب متن الشطط والمغالاة في كل شيء وطلب منها أن تكون أمة الاعتدال والتوسط حتى لا تخلفها القوافل إذا هي تخاذلت وتكاسلت وحتى لا ترتطم بالصخور ولا تسقط في الهوى والأخاديد إذا هي جرت بسرعة جنونية فقال رسولها عليه السلام (خير الأمور أوساطها) وقال قرآنها الكريم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وليس هذا الاعتدال أو التوسط من الأمور التي تتوجه إلى المجموع وحسب بل إن الفرد في نظر الإسلام هو مناط الدعوة وهو المطالب أولاً وبالذات بإصلاح ذات نفسه ومن ذلك الفرد وأولئك الأفراد الذين أصلحتهم التعاليم الإسلامية تتكون الجماعة المسلمة والأمة المسلمة والدولة المسلمة ولن تكون الأمة أمة بحق ولا الدولة دولة منيعة بحق إلا إذا أصبحت خلاياها سليمة وقوية، وأصبحت متلاحمة متناسقة، وان سلامتها وقوتها وتناسقها وتلاحمها لرهينة بما يكون لديها من تعلق بتعاليم الدين وعمل بمقتضياته ولو كان ما يرى منها في ظاهره غير ذلك فما ذلك الظاهر إلا عرضي سوف يبدو ما وراءه وما تحته أو ما بعده من خير تحمد مغبته بعد حصوله أو إدراكه.

وإذا ما سمت عقولنا إلى هذه المشارف وصفت سرائرنا لشرب هذه المعاني فسوف ندرك يقيناً أن لا سعادة لنا ولا نجاح لمشاريعنا الخاصة والعامة إلا إذا رجعنا إلى تعاليم ديننا الحنيف في كل صغير وكبير من أمورنا الجماعية والفردية وأرغمنا أنفسنا الجامحة على تقبل التعاليم الإسلامية تقبل الدواء المر وأن ذلك الدواء المر سيصبح في أمد قصير له ما للعسل المصفى من حلاوة ولذاذة.

لقد عني الإسلام عناية لا نظير لها بمسألة الارتباط الجماعي والتآخي الصادق والتعاون المثمر فجعل المسلمين مرة كالجسد الواحد وأخرى كالصرح المتماusk وابتعد عن المسلمين من لم يهتم بأمرهم وأقصى عن الإيمان من لا يحب لإخوانه ما يحب لنفسه وذاد عن الإسلام من لم يسلم المسلمون من يده ولسانه وحذرنا بكل شدة من الاستماع إلى إرجاف المرجفين وإشاعات المغرضين الذين لا يعتمدون إلا الظن والتخمين والخيال فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ وقال في مقام آخر. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

ولا يكتفي القرآن في القضاء على شوائب الخلاف وبواعث الشقاق وأسباب التناحر عند هذا الحد بل يذهب إلى أبعد من هذا فيقول لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا مته من بعد ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ إن هذا الهجاء المقذع والتوبيخ الشديد لدواء ناجع لأولئك الذين لم تعمر قلوبهم بالإيمان والحب وأولئك الذي يسعون بالفساد والافك لتمزيق الوحدة وتلويت الأبرياء وإيغار الصدور ونشر العداوة والبغضاء لان في ذلك القضاء المبرم على المصلحة والحق والفضيلة، وفي ذلك إفساح المجال للفساد والمفسدين والابلاس والمبلسين ولن يجني احد من وراء ذلك خيراً ولا مصلحة إنما الأمراض النفسية هي التي تجد غذاءها في الشر وإشاعته ونشره هذه هي بعض الأمور النفسية السالبة والموجبة التي أراد الإسلام أن يكون الانطلاق منها بناء أو هدماً حتى يمكن للفرد المسلم وللمجتمع المسلم أن ينطلقا في مجالات الخير متسلحين بأسباب القوة مبتعدين عن جميع المعوقات والمثبطات وبذلك تستمر السعادة وتتصل حلقاتها ولا يمكن لعدو أن يفت في عضدها أو يعرقل سيرها المطرد.



دراسة التاريخ

بقلم: المفكر الإسلامي وحيد الدين خان

(الهند)

وفقاً لبيان القرآن الكريم ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: 30]. وبحسب الاكتشافات العلمية، فإن بداية خلق الكون وقعت قبل ما يقارب (13) ثلاثة عشر مليار سنة عبر الانفجار العظيم (Big Bang). وبعده مرّت مراحل متعددة:

أولاً: تكوّنت المادة والفضاء الممتد الذي تنتشر فيه مجرّات ضخمة لا تُحصى، ثم جاء دور تكوين النظام الشمسي، ومن بعده وُجدت الأرض بعملية تدريجية، حيث تهيأت فيها جميع الشروط الملائمة لحياة الإنسان، وهو ما يُعرف اليوم بنظام دعم الحياة (Life Support System).

ثم جاء طور خلق الإنسان وإسكانه في الأرض، ومن هنا بدأت مسيرة التاريخ البشري. ووفق المخطّط الإلهي بُعث الأنبياء واحداً تلو الآخر ليقودوا مسيرة الإنسان هذه في اتجاه (التوحيد). لكن في الواقع لم يستجب إلا قلة من الناس لدعوتهم، بينما انحرف معظم البشر نتيجة سوء استعمال الحرية عن طريق التوحيد ومع هذا الانحراف سيطرت النظم الملكية، وامتزجت هذه النظم بالشرك، لينشأ نظام قمع ديني واسع حال دون استمرار رسالة التوحيد في إطار سلمي.

وقبل نحو أربعة آلاف عام بدأ الله تعالى مشروعاً جديداً عبر نبيّه إبراهيم - عليه السلام - يمكن أن نسَمّي هذا المشروع "بـعلاج الصحراء" (Desert Therapy)؛

ففي البيئة الصحراوية القاسية جرى إعداد جيل جديد من خلال أكثر من ألفي عام جيل متحرّر من التكييف (Conditioning)⁽¹⁾، وهو جيل ما يُعرف ببني إسماعيل في التاريخ.

وفي الربع الأول من القرن السابع الميلادي ظهر نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ، فكوّن من هذه الأمة المختارة فريقاً حياً وفاعلاً هذا الفريق أحدث تحولاً جذرياً بداية مرحلة جديدة في التاريخ البشري، انتهت بعد مسار طويل بظهور العصر العلمي الحديث في القرن العشرين، وهو ما يُعرف بالحضارة العلمية أي الحضارة المعاصرة.

غير أنّ هذه الحضارة غلب عليها الطابع المادي، وتزعمتها الأمم الغربية فانتشر النموذج المادي وسيطرت العلمانية على شتى مجالات المعرفة، وبالرغم من أنّها في جوهرها حضارة علمية، إلا أنّ صورتها العامة غدت مرتبطة بالغرب وحده، وهكذا نشأ في القرن العشرين واقع عالمي يمكن وصفه بغابة الأفكار المادية: فكل ما فيه مصبوغ بالمادية، بلا صلة ظاهرة بالتوحيد أو الجوانب الروحية. لكن، وسط هذه الغابة المادية، يوجد أيضاً عنصر ربّاني عظيم، كما أنّ في الغابة الطبيعية رحيقاً ثميناً خفياً يُنتج منه العسل. وهذا الرحيق هو معرفة الله الكامنة في قلب الحضارة المادية. والمطلوب اليوم هو استخراج هذا الرحيق وتنظيمه وتقديمه إلى الناس باعتباره التعبير الفكري الجديد عن دين الله، وهو ما سمّاه القرآن الكريم بإتمام النور قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8].

إنّ هذا العمل هو المهمة الكبرى في القرن الحادي والعشرين، وقد وصفه النبي ﷺ بأنّه أعظم شهادة في تاريخ الإنسانية: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»⁽²⁾.

فكما أنّ النحلة إذا جهلت وجود الرحيق في الغابة فلن ترى إلا الأشجار الكثيفة، وإذا عرفته صارت الغابة لها مصدراً للنعم، فكذلك الحضارة الحديثة: من يجهل

(1) يقصد المؤلف جيل لا يتأثر بالأفكار السائدة والثقافات التي نمت وترعرعت في ظل هيمنة عقائد الشرك المخالفة للفطرة السوية القائمة على التوحيد.

(2) «صحيح مسلم». (4 / 2257 ت عبد الباقي).

رحيق المعرفة الكامن فيها لا يرى سوى غابة مادية مظلمة، أما من يعرفه فيدرك أنّها قد تتحوّل إلى بستان رباني عظيم، ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنّ نهضة العلم الحديث بدأت حين انفصلت المعرفة عن سيطرة الكنيسة، ومن هنا نشأ في الغرب مبدأ جديد: الحرية هي الخير الأعلى (Summum Bonum)، وأنّ حق الاختلاف في الرأي حق إنساني أصيل. هذه كانت نقطة تحول كبرى في التاريخ، إذ أصبحت حرية التعبير لأول مرة حقاً معترفاً به للجميع.

ومن ثمّ أُفِرَّت أيضاً حرية الدين كحق ثابت للإنسان، وأزيلت لأول مرة عوائق الإكراه والاضطهاد الديني. فأصبح ممكناً أن يختار كل فرد دينه بحرية، وأن يبلغه للآخرين، بشرط أن يكون ذلك بالأسلوب السلمي.

غير أنّ هذه النعمة كانت بمثابة رحيق خفي داخل الغابة؛ فالحرية حين أُدرجت ضمن حقوق الإنسان لم تُخصَّص لأهل الدين وحدهم، بل شملت الجميع، وهكذا استُعملت الحرية استعمالاً واسعاً أفرز ظواهر سلبية من العُري والخلاعة إلى ازدراء المقدسات. لكن في داخل هذه الغابة ما يزال رحيق الحرية الدينية قائماً. والحكمة هنا أن نكون كالنحلة: نتجاوز ما لا نفع فيه ونستخرج الرحيق النافع لنصوغ منه رسالة ربانية معاصرة.

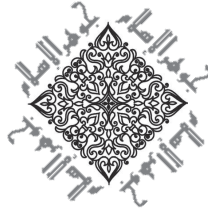
نَدْوَةٌ مُنَوِّتَةُ الشَّيْخِ الْحَبِيبِ الْمُسْتَاوِي

التاريخ: السبت 07 فيفري 2026 المكان: قاعة الفوروم - البحيرة 2 - تونس

الجلسة العلمية الثالثة : رئاسة الأستاذ علي بودريالة المدخلات الأولى: "الخطاب بين الإصلاح والدعوي في كتاب من وحي الإسلام" - تقديم الأستاذ أحمد بن زايد. المدخلات الثانية: "صدى عام الشيخ الحبيب المستاوي في المكتبات العالمية" - تقديم الأستاذ رشيد عبد الحق. المدخلات الثالثة: "الشيخ الحبيب المستاوي جسر التواصل بين إندونيسيا وتونس" - تقديم الأستاذ إدريس أحمد الرفاعي (من إندونيسيا). المدخلات الرابعة: "الشيخ الحبيب المستاوي رجل القول والعمل" - تقديم الأستاذ علي الخذري. المدخلات الخامسة: "فَتَيَاتُهَا.. الفكر الإصلاح في مواجهة التخليل السبيرياني" - تقديم الأستاذ محمد بن نعمان.	الجلسة العلمية الثانية : رئاسة الأستاذ الحبيب عوبدة المدخلات الأولى: "الشيخ الحبيب المستاوي أحد رجال الإصلاح" - تقديم المفتي الشيخ عبد العزيز محمود باري (من غانا). المدخلات الثانية: "الشيخ الحبيب المستاوي مستاوايا ما يسود ومن يسود" - تقديم الأستاذ منصور بوليفة. المدخلات الثالثة: "خاطر دول منوبة الشيخ الحبيب المستاوي" - تقديم الأستاذ رشيد راتب عطاء الله (من المغرب). المدخلات الرابعة: "الشيخ الحبيب المستاوي وريثاً للمدرسة البطلحية وسادناً لجوهر الإسلام" - تقديم الدكتور يحيى عبد اللطيف. عرض شريط وثائقي: حول سيرة الشيخ الحبيب المستاوي - إنتاج جمعية TATAQUINE - "TATAQUINE PLUS".	الفترة الصباحية 09:00: استقبال الضيوف 09:15: آيات من الذكر الحكيم 09:30: كلمة الافتتاح الجلسة العلمية الأولى : رئاسة الأستاذ صالح البكاري المدخلات الأولى: "شعوري الفياض نحو الشيخ الحبيب المستاوي" - تقديم فضيلة الشيخ صالح الفود. المدخلات الثانية: "الشيخ الحبيب المستاوي نموذج المثقف المتميز" - تقديم الدكتور موسى كوانتي (من ساحل العاج). المدخلات الثالثة: "مائة سنة شاهدة" - تقديم الشيخ عبد القادر عاشور (إمام جامع عمر بابرس - فرنسا). المدخلات الرابعة: "دور هندسية على صفحات مجلة جوهر الإسلام التونسية" - تقديم الدكتور طارق سامي (من ليبيا). المدخلات الخامسة: "عناية الشيخ الحبيب المستاوي بالقرآن والسنة في كتبه ومقالاته" - تقديم الدكتور علي الطلوي.
---	--	---

مؤسسة الحبيب المستاوي للبحوث والدراسات العلمية والتكوين

<https://www.facebook.com/alshykh.slah.aldyn.almastawy>



منزلة اللغة العربية وأهميتها

بقلم الأستاذ صالح العود

هي أشرف اللغات بلا شك أو ارتياب، ومن أحسن ما قاله المحدث الشيخ محمد عاشق إلهي البُرني رحمه الله: « التَّكَلُّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ عِبَادَةٌ » وهو ما نَوَّه به الإمام الشهير محمد بن إدريس الشافعي فقال: « إن اللسان الذي اختاره الله عز وجل: (لسان العرب)، فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم. »

وهذا ما اهتدى إليه الجراح الفرنسي العالمي الدكتور موريس بوكاي قبل إسلامه فقال: « جاءني الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة السعودية، فعالجته جراحياً حتى شفي، فألقيت عليه السؤال المتقدم الذكر!! فأجابني أن القرآن حق وأن محمداً رسول الله صادق!! قال فقلت: أنا لا أعتقد صدقه!! فقال الملك فيصل: هل قرأت القرآن؟ فقلت: نعم مراراً!! فقال: هل قرأته بلغته أم بالترجمة فقط! فقال لي: إذا أنت تقلد المترجم، والمقلد لا علم له إذا لم يطلع على الحقيقة، لكنه أخبر بشيء فصدقه، والمترجم ليس معصوماً من الخطأ والتحريف عمداً!! فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية، وتقرأه وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطئ!! قال: فتعجبت من جوابه! فقلت له: سألت كثيراً من قبلك المسلمين فلم أجِد الجواب إلا عندك.. ووضعت يدي في يده وعاهدته على أن لا أتكلّم في القرآن ولا في محمد إلا إذا تعلمت اللغة العربية، وقرأت القرآن بلغته، وأمعت النظر فيه حتى تظهر النتيجة بالتصديق أو التكذيب!! فذهبت من يومي ذلك إلى الجامعة الكبرى بباريس (قسم اللغة العربية) واتفقت مع أستاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلى بيتي، ويعلمني اللغة العربية ساعة واحدة كل يوم إلا يوم الأحد الذي هو يوم راحتي.. ومضيت على ذلك سنتين كاملتين لم تفتني ساعة واحدة، فتلقيت منه سبع مائة وثلاثين درساً.. وقرأت القرآن بإمعان، ووجدته هو الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله لا يزيد حرف ولا ينقص. »

قال الإمام الثعالبي رحمه الله: « العربية خير اللغات والألسنة، إذ هي أداة العلم، (ومفتاح التفقه في الدين). (ص. أ. س



رسالة من رسائل في التصوف لسليل الخطباء
وكبار الشيوخ والأولياء

محمد ابن عبّاد الرندي النفزي

ثمّ الفاسي (733-792)

[الرسالة السادسة من الرسائل الصغرى]

(الجز الثالث)

الأستاذ عبد الهادي النجار الشاذلي

والأستاذ آرش أبوترابي همداني

[جواب سادس فيما يقرأ من كتب التصوّف وكيفية الأخذ في ذلك]

وإن أعوزه وجدانه⁽¹⁾ وتعذر إمكانه فليعمد كتب أئمة القوم ككتب المحاسبي والسلمي والقشيري وكتاب أبي طالب المكي وكتاب أبي حامد الغزالي وعوارف المعارف للسهروردي. فهذه أمّهات كتبهم التي تداولها الناس واقتبست منها علومهم ومعارفهم أي اقتباس. وكذلك ما تفرّق من كلام أئمتهم في الكتب والدواوين وشهر نقله بين علماء المسلمين. وذلك بعد تصحيح اعتقاده على المذهب السني واعتماده

(1) أي وجدان شيخ مرشد يهديه إلى مسالك المعاملات البدنية والقلبية المشارّة إليها في نهاية الجزء الثاني من هذه الرسالة في العدد السابق من جواهر الإسلام.

في تقليده في فروع دينه على إمام مرضي. وليقدّم الاستخارة على سنّتها وصدق النية والعزيمة على العمل بما يفتح عليه منها، ثمّ تحقيق ذلك في الأفعال والأقوال والاستعانة برّبّه في جميع الأحوال. فإذا اتصف بهذه الصفات وأقبل على النظر في هذه المصنّفات رجونا له بلوغ المطلوب وإدراك المرغوب.

ولم نر في هذه الكتب المذكورة والمصنّفات المشهورة ما هو أشفى للخليل وأبرأ للعليل وأهدى للسبيل من كتابي الإمامين أبي طالب المكي وأبي حامد الغزالي. فقد أودعا فيهما من غرائب العلوم وعجائب الفهوم ما تتلج به الصدور وتيسر به الأمور - وخصوصاً الغزالي؛ فإنّه فصل وبوب وأوضح وقرب ونقح وهذب وجمع في أوراق يسيرة ما تفرّق في كتب كثيرة، وضرب الأمثال وأزاح الأشكال وأظهر غوامض الأسرار ونبه على طرق الاعتبار والاستبصار - إلّا أنّ فيه أشياء اعتاصت على الأفهام وخرجت عن مذاهب أهل علم الكلام. ولكن لا حاجة بالمريد إلى معرفتها ولا ينبغي شيء من أحكام طريقته عليها. وأكثر ذلك في ربع المنجيات ككتاب التوبة وكتاب الشكر وكتاب التوحيد وكتاب المحبة - وقد يوجد منها شيء يسير في غير هذا الربع. فيجب على الناظر في كتابه، إذا وقف على بعض هذه المواضيع، أن يتجاوزها إلى غيرها وأن يُسلّم له ما خفي عليه من أمرها - وكذلك يُسلّم له بعض الأحاديث التي ينقلها - ولا يردّها ولا يقبلها. فذلك يجمع بين تحصيل فوائد الكتاب وتحسين الأدب مع العلماء من أولي الأبواب.

وأما كتاب أبي طالب، فعليه وقف الاختيار وإليه انتهى التقديم والإيثار، إذ لم يقع بأيدينا مثل منزعه ولا رأينا من حام حول مشرعة. فإنّه فتح فيه مغلق علم التصوّف الذي أعجز حلّه، وفكّ خواتم أسرار لا يفكّها إلّا مثله، وجمع فيه بين المعاني الصحيحة والألفاظ الحسنة، وساقه مساقاً تصغي إليه الأسماع وتستحليه الألسنة، وذكر فروع علومهم وأصولها، ورسم مسائلها وفصولها. فكان لذلك كالمُدونة في علم الفقه: يقوم مقام غيره ولا يقوم غيره مقامه - إلّا أنّ فيه بعض علوم غامضة لا تُدرّك ببضاعة العقول ولا توافق ظاهر العلم المنقول، وأحاديث له فيها مذهب معروف وطريق مألوف. فعلى الناظر في ذلك أن يتصفّ بما ذكرناه من التسليم، ويعتقد جريانها على المنهج القويم، ويرجو أن يفتحها عليه الفتّاح العليم. وما عدا هذين الكتابين من التصانيف التي ذكرناها مشتمل على فوائد زائدة لا يستغني المريد عنها ولا يجد في غيره عوضاً منها. فعليه أن يطلبها من أماكنها ويستخرجها من

مكائنها ويستعين على ذلك بمشاركة مَنْ يَتَمَذِّهَبُ بمذهبه ويساهمه في مطلبه ومأربه.

[جواب سابع في اجتناب المريد الأخذ في التصوف]

مع مَنْ يستضرّ به في حاله

وليجنب المريد مخالطة طائفتين من الناس والتشاغل بأشغالهم والعمل بأعمالهم. إحداهما المستغرقون في علم الظاهر كالفقه وما أشبهه من العلوم الظاهرة، لعدم وجدان السلامة في ذلك غالباً ووقوعه في أنواع المعاصي الظاهرة والباطنة. وإن سَلِمَ من ذلك نادراً فلا يَسَلِمَ من تشتت قلبه وغفلته بسبب استعماله في تفهّم نواذر الأحكام وما ليس له به حاجة من مسائل التداعي والخصام. فيقطع عمره في التعب والفضول ويستغرق أوقاته بما ليس له طائل ولا محصول، فتنحل بذلك عقدة عزمه وتزول بركة عمله وعلمه، إذ من أحسن حال الآخذين فيه في هذه الأزمنة - ولا حال لهم - حال رجل دخل فيه بنية تعليمه مَنْ يحتاج إليه وفتواه في نازلة يعوّل فيها عليه محتجاً على ذلك بحجج داحضة كقوله: «أنا آخذ في فرض الكفاية وما أنفي به عني الجهالة والغواية؛ وقد استمرّ عليه عمل الناس قديماً وحديثاً وأوسعوه اجتهاداً وطلباً حثيثاً، كما فعله مالك وغيره من العلماء - وأنا في ذلك سالك سبلهم وعامل عملهم. وهل أنا في ذلك إلا بمنزلة مَنْ سعى في إنقاذ غريق وهداية ضالّ إلى سواء الطريق؟» وهذه حجج صلحاءهم التي بها يتمسكون، ومحاجّ نصحاءهم التي عليها يسلكون ويُسلّكون. وهي من تلقين الشيطان وإلقاءه ليتمكّن بذلك من فتنته وإغوائه. ومن أعظم ما قاده إليه بكلماته المزخرفة وأدلّته المحرّفة أن أنساه نفسه ومولاه وألقى زمامه بيد هواه، فأصمّه بذلك وأعماه وفقد الخوف والخشية واستحوذت عليه الغفلة والقسوة. فأثمر له ذلك أنواعاً من الخبائث وصار في عداد السفلة والأخابث. وعلى قدر استغراقه فيه تتضاعف عليه هذه الآفات ويتعدّر عليه الخلاص منها والإفلات. وكلّما ازداد على العلم الذي هو فيه حرصاً ازداد عمائيةً ونقصاً. فكان مثله كمن بنى قصراً وهدم مصرّاً. وآية ذلك تحسينه ظنّه بنفسه وعُجبه بعقله وحده وتكبّره على أبناء جنسه، وعدم قبوله للنصائح والمواعظ، وتلقّي ذلك ممن يليقه إليه بأذن غير واعية وقلب غير حافظ، ومعاداة أقرانه ونظرائه في العلم، ووقوعه من غيبتهم بغيتهم وبُهتتهم بحضرتهم في كِبائر الإثم. ومن مارس أحوالهم وشاهد أعمالهم علم يقيناً صحّة ما ذكرناه عنهم. فأين

هذا من سيرة السلف الصالح ومؤاخاة بعضهم بعضاً وتأنس بعضهم ببعض وانبساط بعضهم إلى بعض؟

فإن تفتن هذا المسكين لغفلته واغتراره ورأى قبح أفعاله وآثاره ورام التوبة والإقلاع والاتصاف بالآوصاف الرفاع، وجد تلك البلايا في طباعه راسخة، وظلماتها لأنوار بصيرته ناسخة. فإن كان ممن سبقت له العناية وهُدي إلى طريق الرعاية، رأى في مجاهدة هواه أهوالاً لا تطاق، ولقي في مكابدة صفاته الذميمة أحوالاً يضيق عنها النطاق. وإن كان ممن نفذ عليه الحكم ﴿وَأَضَلُّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23]، قوي عماه وبقي على هواه فخر دينه ودنياه - والعياذ بالله من ذلك.

فيجب على من انقدحت في قلبه تلك الشبهات - التي قبلها من أعدى العداة - أن ينظر أحواله مع أحوال من ذكره⁽¹⁾ من الأئمة بعين الإنصاف السالم من⁽²⁾ الزيف والانحراف. فسيظهر له افتراقهما وبونهما ويقول حينئذ: «شتان ما بينهما». وذلك أنهم بنوا أمورهم على قاعدة التقوى والبر وإخلاص السر والجهر. فأوجب لهم ذلك نفوذاً في بصائرهم وصفاءً في سرائرهم أدركوا بها الحقائق الباطنة والظاهرة وعلوم الدنيا وعلوم الآخرة. وساعدهم على ذلك الزمان والإخوان ووجدوا الرفقاء والأعوان، فاستقام لهم بذلك من أمرهم ما لم يستقيم لمن بعدهم. وهذا كله معلوم من أحوالهم بالقطع لتواتر الأخبار منهم بذلك.

والطائفة الأخرى الشاطحون المترخصون، الذين لا يتقيّدون بحكم ولا ينضبطون لرسم. فليجتنبهم المريد كما يجتنب المتفقهة - بل أشد - لأن ضررهم أعظم من قبل أن أحوالهم موافقة لهوى النفس. لأنهم جمعوا بين دعوى المقامات العلية، والراحات من الأعمال البدنية. وذلك خلاف لمذهب أهل التحقيق، وعدول عن محجة الطريق. قال الأستاذ أبو القاسم القشيري - رحمه الله: «شيوخ هذه الطائفة مجمعون على تعظيم الشريعة، متصفون بسلوك طريق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخليين بشيء من آداب الديانة، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبين أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً»⁽³⁾

(1) الإسكوريال: ذكرناه.

(2) الإسكوريال: عن.

(3) نوبيا: مغترباً؛ الإسكوريال، الرسالة القشيرية: مفترياً.

على الله سبحانه فيما يدّعيه، مفتوناً هلك في نفسه وأهلك من اغترّب به ممّن ركنَ إلى أباطيلِهِ»⁽¹⁾ وقال الجنيد: «ما أخذنا التصوّف عن القليل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمُستحسّنات»⁽²⁾ وقال أيضاً: «إنّ العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها. ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرّ ذرّةً إلّا أن يحال بي دونها»⁽³⁾ ورُئي في يده سُبحةٌ، فقيل له: «أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟» فقال: «طريقٌ وصلت به إلى ربّي لا أفارقه»⁽⁴⁾ وكان يدخل كلّ يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي أربع مائة ركعة ثمّ يعود إلى بيته»⁽⁵⁾ وقال رويم: «ما هذا الأمر إلّا بذلّ الروح. فإنّ أمكنك الدخول فيه مع هذا، وإلّا فلا تشتغل بتُرّهات الصوفيّة»⁽⁶⁾ وقال أيضاً: «عودك مع كلّ طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفيّة؛ فإنّ كلّ الخلق قعدوا على⁽⁷⁾ الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق؛ وطالب الخلق أنفسهم بطواهر الشرع، وطالب هؤلاء أنفسهم بحقائق الورع ومداومة الصدق. فمّن قعد معهم وخالفهم في شيء ممّا يتحقّقون به نزاع الله نور الإيمان من قلبه»⁽⁸⁾ وقال يوسف بن الحسين الرازي⁽⁹⁾: «إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنّه لا يجيء منه شيء»⁽¹⁰⁾ وكتب إلى الجنيد: «لا أذاقك الله طعم نفسه؛ فإنّك إن دقتّها لا تذوق بعدها خيراً أبداً»⁽¹¹⁾ وقال ابن خفيف⁽¹²⁾: «الإرادة استدامة الكد وترك الراحة» [وقال] «وليس شيء أضرب بالمريد من مسامحة النفس في قبول

(1) نقله بالتصرف عن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، جدة: دار المنهاج، ص 230.

(2) نفس المرجع، ص 154.

(3) نفس المرجع، ص 155.

(4) نفس المرجع، ص 156.

(5) نفس المرجع.

(6) نفس المرجع، ص 163.

(7) الإسكوريال: مع.

(8) الرسالة القشيرية، ص 163.

(9) هو يوسف بن الحسين الرازي: شيخ الرّيّ والجبال في وقته، وكان نسيج وحده في إسقاط التصنع، وكان عالماً أديباً. صحب ذا النون المصري، وأبا تراب النخشي، ورافق أبا سعيد الخراز. مات سنة أربع وثلاث مئة - رحمه الله.

(10) الرسالة القشيرية، ص 173.

(11) نفس المرجع.

(12) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي: صحب رويماً، والجريري، وابن عطاء، وغيرهم. مات سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة.

الرَّحْصِ والتَّوِيلَاتِ». ⁽¹⁾ وقال الحُصْرِيُّ: ⁽²⁾ «النَّاسُ يَقُولُونَ: «الْحُصْرِيُّ لَا يَقُولُ بِالنَّوَالِ». وَعَلَيَّ أَوْرَادٌ مِنْ حَالِ الشَّبَابِ لَوْ تَرَكْتُ رَكْعَةً مِنْهَا لَعُوقْتُ». ⁽³⁾

فإن انضاف إلى ذلك هتك أستار الشريعة والتشاغل بالغيبة والوقعة، فأمرهم أشدَّ والفرار منهم آكد. وقال أبو يزيد البسطامي: ⁽⁴⁾ «لو نظرتم إلى رجل أُعْطِيَ مِنَ الْكَرَامَاتِ حَتَّى يَرْتَقِيَ فِي الْهَوَاءِ، فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ تَجِدُونَهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَحِفْظِ الْحُدُودِ وَأَدَابِ الشَّرِيعَةِ». ⁽⁵⁾ وقال أبو الحسين النوري: ⁽⁶⁾ «مَنْ رَأَيْتَهُ يَدْعِي مَعَ اللَّهِ حَالَةَ تَخْرُجُهُ مِنْ حَدِّ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ فَلَا تَقْرَبَنَّ مِنْهُ». ⁽⁷⁾ وسُئِلَ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذِبَارِيُّ ⁽⁸⁾ عَمَّنْ يَسْمَعُ الْمَلَاهِيَّ وَيَقُولُ: «هِيَ لِي حَالٌ؛ لَا تِي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَا يُؤَثَّرُ فِيَّ اخْتِلَافُ الْأَحْوَالِ». فقال: «نعم، قد وصل، ولكن إلى سقر». ⁽⁹⁾ وقيل للنصراباذي: ⁽¹⁰⁾ «إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَجَالِسُ النِّسْوَانَ، وَيَقُولُ: «أَنَا مَعْصُومٌ فِي رُؤْيَيْتِهِنَّ». فقال: «مَا دَامَتِ الْأَشْبَاحُ بَاقِيَةً فَإِنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ بَاقٍ، وَالتَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ مُخَاطَبٌ بِهِ، وَلَنْ يَجْتَرِيَ عَلَى الشَّبَهَاتِ إِلَّا مَنْ هُوَ مَعْرُضٌ بِالْحَرَمَاتِ». ⁽¹¹⁾ وقال أبو بكر الزقاق: ⁽¹²⁾ «تَهَتْ فِي تِيهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَقْدَارَ خَمْسَةِ عَشْرِ يَوْمًا. فَلَمَّا وَقَعْتُ

(1) الرسالة القشيرية، ص 173.

(2) هو أبو الحسن علي بن إبراهيم الحُصْرِيُّ البَصْرِيُّ: سكن بغداد، عجب الحال واللسان، شيخ وقته، ينتمي إلى الشبلي. مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة.

(3) الرسالة القشيرية، ص 227. وفي رواية القشيري: «لَعُوتُ». «لَعُوتُ».

(4) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي: وكان جده مجوسياً أسلم، وكانوا ثلاثة إخوة: آدم وطيفور وعلي، وكلهم كانوا زهاداً وعباداً، وأبو يزيد كان أجملهم حالاً. قيل: مات سنة إحدى وستين ومئتين؛ وقيل: أربع وثلاثين ومئتين.

(5) الرسالة القشيرية، ص 129.

(6) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري: بغدادى المولد والمنشأ، بغوي الأصل، صحب السري وابن أبي الحواري وكان من أقران الجنيد. وكان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان. مات - رحمه الله - سنة خمس وتسعين ومئتين.

(7) الرسالة القشيرية، ص 159.

(8) هو أبو علي أحمد بن محمد الرُّوذِبَارِيُّ: بغدادى، أقام بمصر، ومات بها سنة اثنين وعشرين وثلاث مئة. صحب الجنيد والنوري وابن الجلا.

(9) الرسالة القشيرية، ص 198.

(10) هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي: شيخ خراسان في وقته، صحب الشبلي، وأبا علي الرُّوذِبَارِيَّ، والمرتعش. جاور بمكة سنة ست وستين وثلاث مئة، ومات بها سنة سبع وستين وثلاث مئة، وكان عالماً بالحديث، كثير الرواية.

(11) الرسالة القشيرية، ص 226.

(12) هو أبو بكر أحمد بن الزقاق الكبير: كان من أقران الجنيد، من أكابر مصر.

على الطريق استقبلني إنسانٌ جنديٌّ فسقاني شربة ماء. فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة.⁽¹⁾ وقال أبو حفص الحداد: ⁽²⁾ «مَنْ لَمْ يَزِنْ أفعَالَهُ وَأحوَالَهُ فِي كُلِّ وقتٍ بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره، فلا تعدّه في ديوان الرجال.» ⁽³⁾ وسئل إسماعيل بن نُجَيْد ⁽⁴⁾ عن التصوّف، فقال: «الصبر تحت الأمر والنهي.» ⁽⁵⁾ وقال أبو العباس الدينوري: ⁽⁶⁾ «نقضوا أركان التصوّف، وهدموا سبيلها، وغيروا معانيها بأسام أحدثوها: سمّوا الطمع زيادةً، وسوّء الأدب إخلاصاً، والخروج عن الحق شطْحاً، والتلذذ بالمدموم طيبةً، واتباع الهوى ابتلاءً، والرجوع إلى الدنيا وصولاً، وسوّء الخلق صولةً، والبخل جلافةً، والسؤال عملاً، وبذاءة اللسان ملامةً؛ وما هذا كان طريق القوم.» ⁽⁷⁾ والأخبار والحكايات عنهم في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

[جواب سؤال ثامن في ذكر عدم منافاة النظر في علم القرآن والحديث للتصوّف]

فإن أحب هذا المريد أن ينظر في شيء من علم التفسير والحديث فحسن؛ لأن القرآن والحديث مشتملان على حقائق الدين ومقامات أهل اليقين، وفيهما مجال عبرهم ومسرح فكرهم ومطمح نظرهم وشفاء أدوائهم ومنع أعدائهم وقمع أهوائهم. وهذا هو الفرق بينهما وبين الفقه - وإن كان فرعاً عنهما ومأخوذاً منهما - وقد ذكرنا ما يلزمه من الآفات قبل. وليأخذ من الفقه ما يحتاج إليه في عباداته ومعاملاته ويدع ما سوى ذلك.

(يتبع)

(1) الرسالة القشيرية، ص 167.

(2) هو أبو حفص عمر بن سلم الحداد، على ما ضبط القشيري في رسالته لكن السلمي قال في طبقاته: «واسمه عمرو بن سلم، ويقال: عمرو بن سلمة، وهو الأصح». من قرية يقال لها كورداباذ، على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى؛ أحد الأئمة والسادة. مات - رحمه الله - سنة نيف وستين ومئتين.

(3) الرسالة القشيرية، ص 144.

(4) هو أبو عمرو وإسماعيل بن نُجَيْد: صحب أبا عثمان، ولقي الجنيد، وكان كبير الشأن، آخر من مات من أصحاب أبي عثمان. توفي سنة ست وستين وثلاث مئة.

(5) الرسالة القشيرية، ص 217.

(6) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري: صحب يوسف بن الحسين وابن عطاء والجريري، وكان عالماً فاضلاً، ورد نيسابور وأقام بها مدة، وكان يعظ الناس ويتكلم على لسان المعرفة، ثم ذهب إلى سمرقند، ومات بها بعد الأربعين وثلاث مئة.

(7) الرسالة القشيرية، ص 223.



فضيلة الدكتور الشيخ احمد الطيّب شيخ الأزهر ورئيس مجلس الحكماء : مواقف مشرّفة في خدمة الأمة ودينها

بقلم : الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

الامين العام للمجلس الإسلامي الاعلى بتونس (سابقا)

عندما طُلب مِنّي إعداد ورقة تكون ضَمَن إصدار نحي به فضيلة الدكتور أحمد الطيّب، شيخ الأزهر رئيس مجلس الحكماء، اعتبرتُ أن هذا الطلب يمثل بالنسبة إليّ واجباً وشرفاً. * أمّا أنّه واجب فهو ما أدبنا به ديننا وأرشدنا إليه من قال عليه الصلاة والسلام: (أفلا أكون عبداً شكوراً) وقال (من لم يشكر الناس لم يشكر الله).

وفضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب يتعيّن على كلّ من يتابع مسيرة عطائه على رأس أكبر هيئة علمية ودينية إسلامية: الأزهر بمشيخته، وهيئة كبار علمائه، ومجمع بحوثه، وجامعته العريقة بكلّياتها ومعاهدها، وبقية الهيئات التابعة للأزهر التي لا يتسع المجال حتى لتعدادها. من يتابع مسيرة فضيلته طيلة السنوات الماضية لا يملك إلا أن يشهد للرجل بالتوفيق الذي وهبه الله له فجعل عطائه يتّسع لمختلف المجالات التي تخدم الامة ودينها وهو ما سأورد بعضاً ممّا كنتُ شاهداً عليه وتابعته عن كتب.

* وأمّا أن المساهمة في هذا الاصدار شرفٌ فهو ما اعتزّ به وأحرص على أن أكون مُساهماً فيه إلى جانب صفوه من أهل الذكر ممّن هم أقرب مِنّي إلى فضيلته القرب الجسدي، وأعدّ نفسي ولو أنّي بعيدٌ في المكان أشاركهم في هذا القرب حيث أقيم في تونس بلاد الزيتون

شقيقة الأزهر وتوأمة التي تتطابق معه في المنهج وحمل رؤية إسلام أهل السنة والجماعة برافديه الاشعري والماتريدي ومذاهبه الأربعة وطريقته الجندية.

* عرفتُ فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب حفظه الله، وتابعتُ مسيرته العلمية والعملية - كما عرفها غيري لربما أكثر مني - متدرّجاً من ساحة آل الطيّب الكرام إلى الأزهر طالباً ومدرّساً وأستاذاً ومكمّلاً تكوينه الأكاديمي في السربون الجامعة الفرنسية العريقة ثم أستاذاً وعميداً ورئيس جامعة ومفتٍ للديار المصريّة لتنتهي به المسؤوليات إلى تولّي مشيخة الأزهر ورئاسة هيئة كبار العلماء ورئاسة مجلس الحكماء المسلمين.

وتشاء الاقدار الإلهية الا أن يتبوأ فضيلته هذه الخطة العلمية والدينية في ظروف دقيقة تمرّ بها الأمة تحتاج فيها اشدّ الاحتياج إلى ربّان ماهر يقود مسيرة سفينتها الدينية في ظل أوضاع لم تشهد لها الأمة الإسلامية نظيراً عبر تاريخها المديد من ناحية شدة التحديات التي تواجهها والاتية من كلّ صوبٍ وحذبٍ متداعيةٍ عليها تداعي الأكلة على قصعتها، وهي ليست من خارجها فقط بل من بين صفوفها دون أن نستبعد أن بين تلك التي من الخارج وهذه التي من الداخل خيطاً رابطاً دقيقاً لا يخفى على كلّ ذي لبّ وبصيرة.

قدر فضيلة الشيخ الدكتور أحمد الطيب حفظه الله أنه يتولّى مشيخة الأزهر في هذا الظرف الصعب الا على من يسره الله عليه وأحسب أن فضيلته تحفّه عناية إلهية ويحظى بتوفيق من ربّه الذي اختاره في هذا الظرف ليكون اللسان المعبر عن ضمير الأمة وحقيقة تعاليم دينها، دين الرحمة للناس كافة ودين إنقاذ الإنسان: فرداً وجماعة من مهاوي الوقوع في شفا حفرة نار الفتنة والفرقة والاختلاف والتنازع،

وهو بارك الله فيه ومدّ في انفاسه يترسم خطى من أرسله الله رحمة للعالمين وجعله بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً عليه الصلاة والسلام.

* ولو أردنا شيئاً من التفصيل لرأينا أن فضيلة الشيخ أحمد الطيب بدأ بما ينبغي أن تكون به البداية مستشعراً مسؤوليته أمام الله وأمام الأمة بمختلف مكوّناتها العقدية والمذهبية والعرقية وبالخصوص مكوّنها الاساسيين: سنة وشيعة.

فبعد أن خفت أصوات هيئات ومنظمات وشخصيات نشطت قبل عقود ومنذ منتصف القرن الماضي في مجال (التقريب بين المذاهب) ها هو ذا فضيلته يحيى دعوة التقريب من خلال ما يوجهه لمكوّني الأمة: سنة وشيعة من نداءات وبيانات في مؤتمرات الحوار الإسلامي الإسلامي التي احتضنتها المنامة عاصمة البحرين فكانت نداءات فضيلته نبراساً يضيء للمسلمين سبيل التوافق والاجتماع على كلمةٍ سواء، تُحقن بها الدماء وتصان بها الأعراس وتحفظ بها الأموال.

* وفضيلته في هذا الجهد الذي يبذله على كل الأصعدة لا يتأخر عن تحمّل مسؤوليته، سواء على مستوى الداخل أو على مستوى كل الأمة الإسلامية، واضعاً النقاط على الأحرف، صادقاً بالحق لا تأخذه فيه لومة لائم منها إلى المخاطر، ومُحدِّراً من الانقسامات والاختلافات والنزاعات، ومتصدِّ للفتن الطائفية والتكفيرية، ومرتفعاً بالدين إلى ما أَرَادَهُ اللهُ به من تحقيق لمرضاته، بنشر قيمه السامية السمحة التي أساسها: الأخوة والحب والعيش في أمنٍ وسلامٍ ووثام. فأصدر فضيلته في هذا الصدد بياناتٍ ومواثيق وعهوداً في مختلف القضايا والمشكلات التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية بكل فئاتها، وبصفة خاصة فئة الشباب المستهدف، والذي يُزَجُّ به اليوم في محارق تُزْهَق فيها الأرواح البريئة، وتُراق فيها الدماء الزكية، في عمليات إرهابية يدفع إلى تنفيذها عن غير وعيٍ ولا علم فئات شباب الأمة بدعوى الجهاد ابتغاء لمرضاة الله، وتوقاً لدخول الجنان !!.

* ولا ينسي هذا الوضع فضيلته فنراه لا يتأخر عن التصدّي لمن يستهدفون عقيدة الأمة وكيانها من دعاة التغريب بمختلف مظاهره وتجلياته، متستريين بستار التجديد والاجتهاد ! وهو تصدّ للطرفين: التطرّف! والتحرّر من كل الثواب!

* ولا يتأخر فضيلة الشيخ أحمد الطيب عن دعوة أهل الذكر من العلماء إلى التوجّه وجهةً علميةً في التعامل مع المشكلات والقضايا المستجدة بدون تهيبّ (على غرار مواقف بعض الفقهاء المتشدّدين الذين يرون كلّ تجديدٍ هو خروج عن الشريعة وتفريط في الدين، وتمهيد للانسحاق والذوبان في الحضارة المادية الجارفة !!).

ومن أجل ذلك دعا فضيلته إلى الاجتهاد الجماعي، يقوم به كبار العلماء ممن يحملون هموم الأمة ومشكلاتها، ولم يغررهم بريق الدنيا، وأطماع السياسة والجاه والمال، لينظروا غير هيابين ولا وجلين في القضايا المشكلة والعالقة، كقضايا: الإرهاب والتكفير والهجرة وتحديد مفهوم دار الإسلام والالتحاق بجماعات العنف المسلح والخروج على المجتمع وكرهيته ومفاصلته شعورياً، واستباحة دم المواطنين بالقتل والتفجير.

ويرى فضيلته أنه آن الأوان للعالم كلّ كي يتوحد ويتعاون للتصدّي لهذا الوحش المسعور.

وعلى العلماء أن يجتهدوا ويجددوا الأنظار فيما يتعلّق بالأمور السياسية: كالديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية وحدودها والمساواة الدستورية والقانونية ومشروعية الدستور والبرلمان.

ويلفت فضيلته أنظار العلماء إلى أمور الاجتماع: وأولها معاملات البنوك، وقضايا المرأة، ومنها تولّيها القضاء والولاية العامة، والزي، والنقاب، وخضوعها لعاداتٍ وتقاليـد

تحكمها وتحرمها من حقوقها الشرعية: كحقّها في الميراث واختيار الزوج، وحمايتها من عضل الولي، وكذلك مسألة الاختلاط في العمل، والدعوة لرجوع المرأة إلى بيتها. وقضايا نقل الأعضاء، وتهنئة غير المسلمين بأعيادهم، وتحديد أوائل الشهور العربية بالحساب الفلكي، ومسائل الحج، بخاصة الاحرام من جدة للقادم جواً وبحراً، ورمي الجمرات في سائر الأوقات، واستنهاض الأمة لاستصدار الفتاوى التي تُوجب العمل وتحرم التقاعس والكسل، وقضايا أخرى (كما جاء ذلك في كلمته إلى مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقد في شهر ربيع الأول في 1437 هـ / 2016 م).

* ويُحسب لفضيلة الشيخ أحمد الطيّب أن الأزهر أصدر بياناتٍ تضع النقاط على الأحرف، وتعتبر دليلاً وخارطة طريقٍ لكل الأمة في القضايا التي يدور الجدل حولها، وتحتاج إلى دليلٍ موجّه يصدر عن أكبر هيئة علمية ودينية في البلاد الإسلامية وهي الأزهر. ولا يتّسع المجال لاستعراضها، وهي متاحةٌ للجميع اليوم بكل الوسائل وتمثّل رصيّدًا لا غنى عنه لكلّ باحثٍ ودارسٍ ومهتمٍّ بأمر الأمة ودينها.

* وفضيلة الشيخ الإمام أحمد الطيّب يجهر بكلمة الحق فيصّح الأفهام الخاطئة والشبهات الملتصقة بالإسلام والمسلمين ويرد على كل الأسئلة بالحجة المقنعة والدليل القاطع محملاً مسؤولية التخويف من الإسلام لكل طرف قائم به.

* فلدى استقباله (لمارين لوبان رئيسة حزب اليمين في فرنسا قال فضيلته (ليس هناك شيء يسمى بالإسلام السياسي أو الإسلام المتطرف، فالإسلام واحد وهناك مسلمون معتدلون وهم الغالبية وهناك قلة قليلة من المتشددين ولا ينبغي أن نحكم على الدين بتصرفات المنتسبين إليه فإننا ان فعلنا ذلك يمكن أن ندين المسيحية بما ارتكبتها الحروب الصليبية من جرائم ضد الإنسانية وبالمجازر التي ارتكبتها محاكم التفتيش باسبانيا باسم المسيحية).

* وأوردت مجلة (لوبوان) الفرنسية التي اعتبرت فضيلة الشيخ أحمد الطيّب (هو الرجل الذي في حيازته مفاتيح الإسلام) مجموعة من أقواله :

«تصرفات من هذا القبيل مناقضة لكل القيم الدينية والإنسانية وضد كل الحضارات» القاهرة 14 نوفمبر 2015 في أعقاب تفجيرات باريس.

«البابا رجل سلام، رجل يتبع تعاليم المسيحية التي هي دين الحب والسلام» الفاتيكان 23 ماي 2016.

«المسلم هو أخ لغير المسلم وشبيهه في الإنسانية» باريس 24 ماي 2016.

«مشاكل كل مسلمي فرنسا تكمن في الأئمة الذين يأتون من مختلف البلدان بأفكار ومخططات لا تتلاءم مع أسس الوسطية في الإسلام» مجلس الشيوخ (فرنسا) 26 ماي 2016.

«كل الجماعات الارهابية هي نتاج جديد للامبريالية في خدمة الصهيونية العالمية في نسختها الجديدة وفي مخططها الذي يهدف إلى تخريب الشرق الأوسط وتمزيق العالم العربي» القناة الأولى للتلفزيون المصري سبتمبر 2014.

«الذين يحاربون الله ورسوله وينشرون الفساد في الارض ينبغي أن يقتلوا وتقطع أيديهم وأرجلهم» القاهرة 4 فيفري 2013 في موضوع مجاهدي داعش.

«رجل الشارع العربي يعتقد أن الغرب ليس برينا من ظهور داعش، أسلحة داعش أمريكية ليست مصنعة في العالم العربي» فلرنس 9 جوان 2015.

«تحدثت مع البابا وكان مقتنعا بأن مسيحي الشرق لم يكونوا مضطهدين» باريس 24 ماي 2016.

وهي مقولات كان لها الأثر الايجابي في تصحيح صورة الإسلام وهي المرة الأولى التي يفسح فيها المجال لعالم دين إسلامي كي يتحدث عن الإسلام بهذا الوضوح وتلك الصراحة.

* لا يمكن في عجالة أن نأتي على مواقف فضيلة الشيخ أحمد الطيب المشرفة في مختلف القضايا وفي ارفع المنتديات العالمية في عديد القارت وبحضور كبار رجال السياسة والدين: فهو يتمسك بثوابت الإسلام لا يتزحزح عنها قيد انملة ويقدم حقائق الإسلام في اجمل صورها: دين الرحمة والسلام والتعايش والتسامح.

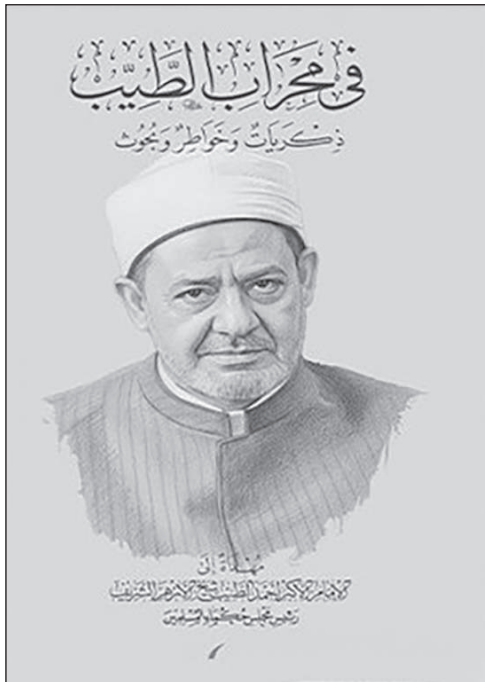
* إن الاتيان على المواقف المشرفة من كل القضايا الحارقة على مستوى الانسانية جمعاء (المخاطر التي تتهدد الطفولة المهمشة والهجمة الشرسة عليها من وسائل التواصل الاجتماعي بكل أنواعها ومشاكل الهجرة غير المنظمة وترويج المخدرات والتمييز العنصري والمظالم المسلطة على الشعوب المضطهدة وفي طليعتها الشعب الفلسطيني وما يتعرض له في غزة وفي بقية الأرض الفلسطينية من تصفية على مرأى ومسمع من الضمير العالمي بدوله ومنظّماته) كل ذلك وغيره لا يمكن الاتيان عليه مما لا ينفك يعبر عنه في كل مناسبة فضيلة الشيخ أحمد الطيب ماذا يده لكل ذوي النوايا الحسنة من رجال الفكر والسياسة ومن القادة الدينيين والمتوجة بـ(وثيقة الاخوة الإنسانية) الصادرة في أبو ظبي وتولّى الامضاء عليها كل من فضيلة الشيخ الازهر وبابا الفتيكان.

* يزين كل هذه المواقف المشرفة لفضيلة الشيخ احمد الطيب شيخ الازهر رئيس مجلس الحكماء: خلقٌ رفيع وتواضعٌ جم وورع وزهد حقيقي صادق (فالرجل وهو في ارفع المراكز واعلاها يكتفي بسكنى شقة بالكراء في القاهرة ولا يتقاضى الا راتب استاذ في الجامعة وكل ما يسند اليه من جوائز ومكارات يحيله إلى طلبة الازهر من المبتعثين القادمين من كل ارجاء العالمين العربي والإسلامي (وهم بالآلاف) ويعود في آخر الاسبوع إلى الاقصر حيث ساحة آل الطيّب الكرام بسيارته الشخصية المتواضعة للقاء الاحبة والعشيرة ولاصلاح ذات البين في ما اسماء فضيلته (بيت العائلة المصرية) ثم في تعبيره عن اخر ما يتمناه هو ان يتفرغ في بقية حياته ليجلس على حصير يعلم الصبيان القرآن الكريم).

كل هذه الخلال والشمائل التي يتحلّى بها فضيلة الشيخ احمد الطيّب - وهي عزيزة في هذا العصر - تجعل منه فريد عصره وليس ذلك بالغريب على من نشأ نشأته التي اساسها العلم والتزكية (يعلمهم ويزكيهم).

إن فضيلة الشيخ احمد الطيّب هو هدية الله ليس للازهر ومصر ولكن للامة الإسلامية جمعاء نسأل الله ان يديم به النفع ويصلح به امر الامة ودينها إنه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

حُرّر في تونس صباح يوم الخميس 5 رجب 1447 هـ / 25 ديسمبر 2025





سيرة ومسيرة المهدي بن عبود

بقلم: الدكتور محمد بشاري

الأمين العام للمجلس العالمي للمجتمعات المسلمة (أبو ظبي)

لم يكن ميلاد المهدي بن عبود بمدينة سلا سنة 1919 حدثاً عائلياً عادياً، بل جاء في سياقٍ تاريخي كانت فيه المدينة إحدى خزانات الوعي الديني والوطني بالمغرب. في بيتٍ متدينٍ محافظ، تشكّلت شخصيته الأولى على قيم سبقت المدرسة: الانضباط الأخلاقي، احترام العلم، والإحساس المبكر بالانتماء إلى وطنٍ مُثقل بالاستعمار ومشحون بأسئلة التحرّر. وحين فقد والده في سنٍّ مبكرة، لم يتحوّل اليُتم إلى عائق، بل صار دافعاً؛ إذ تولّت الأم وأخوه الأكبر زين العابدين رعايته: تربيةً وتعليماً، فكان البيت مدرسةً موازية، تُلقّن قبل الدروس معنى المسؤولية والاعتماد على النفس.

في مساره الدراسي، لم يُعرف عن بن عبود أنّه كان مجرد تلميذٍ متفوّق، بل قارئاً نهماً، يمزج بين المقررات الرسمية وكتب التراث والفلسفة والتاريخ. تعلّم العربية بوصفها لغة الهوية والمعنى، وأتقن الفرنسية في سياقٍ استعماري فرضها أداة إدارة ومعرفة، ثم انفتح على الإنجليزية باكراً، مدركاً أنّ العالم يتّجه شرقاً وغرباً نحو لغة جديدة للنفوذ والتواصل. هذا التعدّد اللغوي لم يكن زخرفاً ثقافياً، بل أداة وعي مبكر بالاختلاف الحضاري.

اختياره الطب بعد نيله شهادة البكالوريا سنة 1940 لم يكن خياراً تقنياً محضاً. لقد رأى في الطب علماً يضع الإنسان في مواجهة الحقيقة العارية للجسد والحياة والموت. في جامعة مونبلييه، ثم في باريس بعد الحرب العالمية الثانية، تعمّق في الجراحة وتخصّص في الأمراض الجلدية والتناسلية، وتكوّن تكويناً علمياً صارماً.

غير أن الأهم من ذلك كان ما تعلّمه خارج قاعات الدرس: قراءة المجتمع الغربي من الداخل، وملاحظة الفجوة بين التقدّم العلمي والفراغ القيمي، والتميز بين قوة المعرفة وقوة الهيمنة.

سنة 1950، نال شهادة الدكتوراه من جامعة باريس، وفي العام ذاته التقى الملك محمد الخامس، في لحظة ستظلّ حاضرة في ذاكرته بوصفها رمزاً لالتقاء العلم بالوطنية. عاد إلى المغرب وفتح عيادته بالدار البيضاء، لكن الاستقرار المهني لم يطل. فالمغرب كان يعيش ذروة الصراع مع الاستعمار الفرنسي، والحركة الوطنية كانت في حاجة إلى كفاءات تفهم لغة الخارج بقدر ما تُخلص للداخل. هنا بدأ التحول الحاسم في مساره: من طبيب يعالج الأجساد إلى فاعل وطني يسهم في علاج جراح الوطن.

انخرط بن عبود في العمل الوطني منذ الأربعينيات، بدايةً في الحزب الوطني ثم في حزب الاستقلال سنة 1944. لم يكن انخراطه تنظيمياً فحسب، بل فكرياً وإعلامياً، إذ شارك في صياغة الخطاب الوطني الموجه إلى الخارج. وحين انتقل إلى الولايات المتحدة سنة 1951، لم يكن ذلك استكمالاً لتخصّص طبي، بل تكليفاً سياسياً واضحاً: فتح مكتب للدعاية والتعريف بالقضية المغربية في نيويورك، والتواصل مع النخب السياسية والفكرية الأمريكية، في وقت كانت فيه فرنسا تحاول احتكار السردية الدولية حول "حمايتها" للمغرب.

في نيويورك وواشنطن، مارس بن عبود شكلاً مبكراً من الدبلوماسية غير الرسمية. كتب، وشرح، وأعدّ ملفات تاريخية وإعلامية، وربط علاقات مع أعضاء في الكونغرس ومراكز بحث وصحافة. هذا النشاط أثار حفيظة السلطات الفرنسية، التي سعت إلى الضغط عليه وعرقلة تحرّكاته، بل ومحاولة توقيفه سنة 1954، دون أن تنجح. كانت تلك المرحلة مختبراً عملياً لتكوينه السياسي: تعلّم فيها أن معركة الاستقلال لا تُخاض بالسلاح وحده، بل بالكلمة والمعرفة والقدرة على إقناع الآخر بلغته.

مع تصاعد المقاومة المسلحة، عاد بن عبود إلى شمال المغرب سنة 1955، والتحق بقيادات جيش التحرير في تطوان. هناك توثّقت علاقته بالدكتور عبد الكريم الخطيب، وتولّى معه مهام تنسيقية تمثلت في الاتصال بالحكومة العراقية وجلب السلاح للمقاومين. ثم أُوفد إلى القاهرة، حيث شارك في صياغة "الميثاق المغاربي"

لجيش تحرير المغرب العربي، مؤمناً بأن استقلال المغرب لا ينفصل عن تحرّر الجزائر وتونس، وأن الوحدة المغاربية ليست شعاراً عاطفياً، بل ضرورة استراتيجية. بعد الاستقلال سنة 1956، جاء تعيينه أول سفير للمغرب لدى الولايات المتحدة الأمريكية تنويعاً لمسار وطني طويل، لا مكافأة شخصية. كان الرجل يعرف واشنطن، ويجيد لغتها السياسية، ويمتلك رصيداً من العلاقات والخبرة، ما أهله لتمثيل دولة فتية في واحدة من أعقد ساحات القرار الدولي. غير أنّ هذه المرحلة، على أهميتها، لم تُلغ جوهر شخصيته: بقي بن عباد يعتبر المنصب وسيلة لا غاية، وخدمة للوطن لا امتيازاً دائماً.

هكذا تتشكل المرحلة الأولى من سيرة المهدي بن عباد: نشأة متجذرة في القيم، تكوين علمي صارم ومنفتح، وانخراط وطني مبكر جمع بين الفكر والفعل. سيرة رجل لم ير في العلم ملاذاً فردياً، ولا في السياسة سلماً شخصياً، بل اعتبرهما معاً جزءاً من واجب تاريخي تجاه وطن كان يتلمس طريقه من زمن الحماية إلى أفق الدولة المستقلة.

حين انصرف المهدي بن عباد عن العمل الدبلوماسي الرسمي، لم يكن ذلك انسحاباً من الشأن العام، بل انتقالاً إلى ساحة أعمق أثراً وأبعد مدى: ساحة الأفكار. فالرجل الذي خبر السياسة من داخل مؤسساتها، وعالج الجسد بصرامة العلم، وجد نفسه مدفوعاً إلى تشخيص علل أشد استعصاء، علل تصيب الإنسان في وعيه وضميره، وتصيب الأمم في بوصلتها الحضارية. هنا تبلور مشروعه الفكري لا بوصفه تنظيراً معزولاً، بل امتداداً لتجربة معيشة، تتقاطع فيها الجامعة بالعبادة، والمنبر الأكاديمي بالمشهد الدولي.

في جامعة محمد الخامس بالرباط، حيث درّس علم النفس المرضي والمذاهب الفكرية المعاصرة والعقيدة الإسلامية، اتخذ بن عباد من قاعة الدرس مختبراً نقدياً. لم يكن يُلقي المعرفة بوصفها معطيات مكتملة، بل يضعها موضع مساءلة دائمة. كان يُلحّ على طلابه أن الأزمة ليست في نقص المعلومات، بل في اختلال ترتيبها وفي فقدان المعنى الناظم لها. ومن هذا المنطلق، صاغ رؤيته للإنسان الحديث بوصفه كائناً يعيش وفرة في الوسائل وفاقه في المقاصد، قوة في الأدوات وضعفاً في الغاية. يتجلّى هذا البناء الفكري بوضوح في مشروعه الأشهر «رصد الخاطر». فالكتاب، بأجزائه المتعددة، لا يقوم على التأمل المجتزأ، بل على منهج تشخيصي قريب من العقل الطبي: رصد للأعراض، تحليل للأسباب، وتنبيه إلى المآلات. كان يرى أن

الحضارة المعاصرة، في صورتها المهيمنة، قامت على قطيعة بين المادة والروح، فغلبت عقلية السوق، وتحول الإنسان إلى أداة إنتاج واستهلاك، وفُصل العلم عن القيم. غير أن نقده لم يكن موجهاً إلى الخارج وحده؛ إذ حمل الإنسان المعاصر، والمسلم خصوصاً، نصيباً وافراً من المسؤولية حين قبل الاستلاب، ورضي بالعيش على هامش التاريخ.

من هنا تبرز مركزية البعد النفسي في فكره. فبحكم تخصصه في علم النفس المرضي، كان مقتنعاً بأن الهزائم الكبرى تبدأ من الداخل: من الخوف، ومن القلق، ومن فراغ المعنى. ولذلك ربط بين الاستبداد السياسي والاستكانة النفسية، ورأى في كليهما وجهين لمرض واحد. كان يؤكّد أن مقاومة الهيمنة الخارجية لا تنجح إذا ظل الإنسان مهزوماً في داخله، وأن التحرّر الحقيقي يمرّ عبر بناء إرادة واعية، عالمة، عاملة، قادرة على الفعل لا على الشكوى.

وفي إطار ما سمّاه التدافع الحضاري، لم ينظر بن عبود إلى الصراع بين الحضارات بوصفه مواجهة عسكرية أو تنافساً اقتصادياً فحسب، بل صراعاً على القيم والمعاني. كان يرى أن كل حضارة تُقاس بقدرتها على صيانة كرامة الإنسان، وتحقيق العدل، وإقامة توازن بين العقل والقلب. ومن هذا المنظور، لم يكن موقفه من الغرب موقف رفض شامل، بل نقداً انتقائياً يميّز بين منجز علمي يمكن الاستفادة منه، ونموذج قيمى يفضي إلى تهيمش الإنسان حين يُفصل عن أبعاده الروحية.

هذا الوعي بالتدافع الحضاري دفعه إلى استحضار التراث لا باعتباره مخزوناً مغلقاً، بل طاقة نقدية قابلة للتجديد. في روايته الفلسفية «عودة حي بن يقظان»، استعاد رمزاً تراثياً ليضعه في مواجهة العصر الحديث، مسائلاً قدرة الإنسان على بلوغ الحقيقة في زمن الأيديولوجيات الصاخبة. لم تكن الرواية حينئذٍ إلى الماضي، بل محاكمة للحاضر، تكشف أمراض الجهل المركّب والغرور المعرفي والخوف من الحرية. الأدب هنا لم يكن تزييناً للخطاب، بل وسيلة لاخترق الوعي الجمعي بلغة تتجاوز النخبة.

أما فلسطين، فقد احتلت في فكره موقعاً يتجاوز السياسة إلى الأخلاق والتاريخ. لم يتعامل معها بوصفها نزاع حدود، بل معياراً لصدق العالم وعدالته. كانت فلسطين، في نظره، مرآة تكشف ازدواجية المعايير الدولية، واختباراً لضمير الإنسانية. وحين تُهزم العدالة هناك، فإن الخلل لا يصيب شعباً بعينه، بل يصيب النظام القيمي العالمي

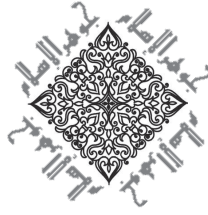
برمته. لهذا ربط بين قضية فلسطين وبين أزمة الحضارة الحديثة، معتبراً أن الانحياز للقوة على حساب الحق علامة على انحراف عميق في مسار الإنسان المعاصر.

وفي تحليله للمشهد الإسلامي، انشغل بسؤال ما بعد الاستقلال: أي إنسان نريد؟ وأي مواطن يمكنه حمل أعباء الدولة الوطنية؟ هنا يلتقي مع أسئلة مفكرين مغاربة وعرب، لكنه يضيف إليها بعداً نفسياً وأخلاقياً واضحاً. كان يرى أن الدولة لا تُبنى بالقوانين وحدها، بل ببناء إنسان حرّ من الداخل، قادر على النقد والمبادرة، لا أسيراً للخوف أو التبعية. ومن هذا المنطلق، انتقد التقليد الأعمى، سواء في الفكر أو السياسة، واعتبره تهديداً مباشراً للنهضة الأمة.

كما أولى عناية خاصة لمسألة اللغة، محذراً من الصراع اللغوي بوصفه وجهاً من وجوه التدافع الحضاري. فاللغة، في نظره، ليست أداة تواصل فحسب، بل حاملة رؤية للعالم. وحين تضعف لغة أمة، يضعف حضورها الحضاري، ويتقلص تأثيرها القيمي. لذلك دعا إلى وعي لغوي يوازن بين الانفتاح على لغات العالم وصيانة اللغة الحاملة للهوية والمعنى.

في مجمل مشروعه، سعى المهدي بن عباد إلى إعادة وصل ما انقطع: وصل العلم بالقيمة، والسياسة بالأخلاق، والعقل بالقلب. لم يقدم وصفة جاهزة، ولم يدع امتلاك الحقيقة المطلقة، بل دعا إلى نسق معرفي مفتوح، يجمع المعرفة الإنسانية بالعقيدة الحية، ويؤسس لمشترك إنساني قوامه العدل والكرامة. كان مقتنعاً بأن مستقبل الإنسانية مرهون بإعادة الاعتبار للأخلاق بوصفها شرطاً للعلم، لا نقيضاً له.

هكذا يتبدى بن عباد مفكراً مارس النقد من داخل التجربة، لا من أبراج معزولة. رجلاً آمن بأن الأفكار، مثل الأجساد، تحتاج إلى تشخيص دقيق، وأن أخطر الأوبئة تلك التي تصيب الضمائر قبل الأجسام. وفي زمنٍ تتسارع فيه التحوّلات وتشتدّ فيه صراعات القيم، تبقى أسئلته مفتوحة، تُلحّ علينا لا لتعيدنا إلى الماضي، بل لتدفعنا إلى إعادة التفكير في معنى التقدّم، وحدود القوة، ووجهة الإنسان في هذا العالم المضطرب.



عفواً... لا تجردوا الإسلام من إنسانيته !!

بقلم الأستاذ إبراهيم الربو (ليبيا)

بينما كنتُ أتصفّح قنوات تلفزيونية شدّني الانتباه في إحداها لندوة قيل عنها أنها علمية ، فقلتُ حسناً سأتابع فحوى هذه الندوة، فتابعْتُ الحوار قبل أن يتحول إلى مشاجرة بين ضيفي تلك الندوة ، بدأ الحوار فيما يبدو هادئاً وعقلانياً ، ولكن سرعان ما تحول إلى لغط وضجيج وتنازع بالألقاب ، حاول مدير الحوار أن يقلل من وتيرته ، وأن يصب ماءً بارداً كلما أدرك أن لهب النقاش قد بدأ يشتد أواره ، ولا أخفيكم سرّاً بأن إشارات الاستفهام قد بدأت تراقص أمامي في تحالف مع إشارات التعجب عندما أدركتُ أن موضوع الندوة كان يدور حول (مشروعية تهنئة غير المسلمين بأعيادهم ؟!) وهو سؤال قديم يتجدد كلما أطلت مناسبة دينية لغير المسلمين ومنها هذه المناسبة المتمثلة في إطلالة عام ميلادي جديد وارتباطه بمولد عيسى عليه السلام ، وكان منشط الندوة قد طرح سؤالاً مباشراً علي ضيفيه يقول :- هل يجوز للمسلم أن يقدم التهاني لغير المسلمين بمناسبة أعيادهم الدينية كعيد ميلاد المسيح مثلاً ، ؟ وهل له أن يشاركهم الاحتفالات بمثل تلك المناسبات ؟ وهل له أن يعتمد القيام بأية مظاهر للفرحة بقدوم عام ميلادي ومغادرة آخر ؟ وهل يجوز أن يهديهم شيئاً بمناسبةاتهم الدينية ؟

إنها أسئلة يعاد تدويرها بداية كل عام ميلادي قاذفا بسيل من الحوارات التي تتسابق إلى تنظيمها بعض الفضائيات والصحف وغيرهما من أدوات الفكر والإعلام فيمتطي صهوتها مثقفون وكتاب ورجال دين وإعلاميون ، كلُّ يلقي بحباله في ذلك الجب ،، وهذه الندوة التي استوقفتني بينما كنتُ أقلّب فضائيات التلفاز لم تكن إستثناء في عرضها لذات الموضوع بمناسبة إطلالة العام الميلادي 2026 ، سوى

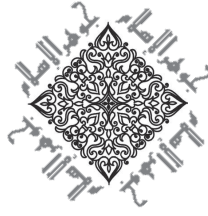
بارتفاع حدة الحوار وتحوله في بعض الأحيان إلى معركة كلامية وتهم يرمي بها كل ضيف في وجه نظيره ، فخرج الموضوع عن سياقه الديني إلى عريضة فقهية ما كان لتلك الفضايلة الموسومة بالإسلامية أن تسمح بها ، وخاصة أنه موضوع هامشي لا يمس أسس الدين وثوابت الشريعة تكلم فيه الكثيرون ومازالوا ، ، ساعة كاملة رأيتُ خلالها من العجب ما رآه آخرون ، حيث تتصادم الحجج بلا دليل ، وتتناطح البراهين بلا منطق ، وتُحشر الأدلة بمعزل عن الزمان والمكان ، ويستنطق التاريخ دون إدراك للمتغير والثابت في حركته ، تعمم الوقائع وكأن عام 800 هو ذاته عام 2026 ، وتُلوى أعناق الكلمات لتوافق هوى من علت عيونهم غشاوة ، لكنهم يرفضون أن نرى إلا ما يرون ،!! استطال جبل الكلام في الموضوع بين المتحاورين لتكون النتيجة كالمعتاد خلاف في خلاف ، تماما كما هو معروف بين الذين تناولوا الأمر بالنقاش قديما وحديثا ، فمنهم من أجاز به بحدز ، ومنهم من وضعه في خانة تتأرجح بين الكراهة والتحريم ، ومنهم من ذهب بالأمر بعيداً فعده موالاة للكفار وما يترتب على ذلك من تصنيفات ،،،!!!

الذي خرجتُ به من مشاهدتي حلقة استمرت كل ذلك الوقت لمناقشة موضوع لا يستحق هذه الكمية من النقاش ، هو أن هناك بين ظهرانينا من يحاول تجريد الإسلام من بعده الإنساني ، وسموه الروحي ، وتميِّزه الاجتماعي ، فيثبتون له - وبهم من الفظاظه وغلظة القلوب - ما يجعل الآخرين ينفضون عنه ، في تناقض لما كان عليه رسولنا الكريم الذي قال فيه سبحانه وتعالى (ولو كنتَ فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ، بل أن في تحريم ذلك الأمر وتجريمه ما يعد تعزيزاً لافتراءات القائلين بانغلاق الإسلام وعنصريته وعدم اعترافه بالآخر ،، والواقع - حسب اعتقادي - أن تهنته غير المسلمين بأعيادهم يعكس روح الإسلام ، ويبرهن على انفتاحه ، ويعزز ثوابته الإنسانية ، فكم كانت تلك التهاني فرصة للتعريف بالإسلام ، بل كانت في بعض الأحيان بداية لمسيرة هداية من نهتهم ،،

إنه من العبث بعقول العامة أن نطرح مثل هذه القضايا التي لا تصب في النهاية إلا في مصلحة تطرف يحاول إقامة مزيد من الجُدر بين الإسلام وبعده العالمي ، ويعزز العزلة بين الشعوب والثقافات ، ويجعل شبابنا ينظر بعين الريبة للآخر الذي نتقاسم معه الحياة فوق هذا الكوكب ،، بل لعلي أقول بأن تهنته غير المسلمين بأعيادهم

ومشاركتهم أفراحهم بها - في إطار ما هو مباح شرعاً - يمثل نوعاً من البر بهم والقسط إليهم ، وهو ما أقره الله وسبحانه في قوله (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) ، ومثال ذلك البر بل أدناه يتمثل في تقديم التهاني لهم في مناسباتهم ، وسيرة نبينا الكريم وصحابته الأبرار فيها من المشاهد والشواهد ما يضيق بها مقام كهذا في ممارستهم العملية لمفهوم تلك الآية الكريمة •

نعم لقد تأسفتُ ولا شك أن الكثيرين يشاركونني ذلك الأسف لعقول ما زالت ترى في مجرد تهنئة المسلم لغير المسلم بأعياده أمراً يستحق أن تُنظم حوله الندوات والمؤتمرات ، ويُستفتى حوله الفقهاء ، ويُثار حوله الجدل في الصحف والفضائيات ، لا أقول ذلك فقط رافةً بعقولنا بل رافةً بعقول ناشئتنا الذين نريد لهم أن يعيشوا هذا العالم في انفتاح على غيرهم من الشعوب والثقافات ولكن في إطار اعتزاز بدينهم وثقافتهم ، أما نحن فعلياً أن ندرك أن العالم قد تحوّل إلى قرية صغيرة تتجاوز فيها الأديان وتتلاقح الثقافات وتمتزج الحضارات ، وعلينا أن نعيش الإسلام في بعده الإنساني الذي يجعلني محباً للآخرين بقدر محبتي لديني ، ولن يقدح في إيماني أو تبعدي عنه كلمات تهنئه أسطرها لجار أو صديق أو زميل في مناسبة ما ،!! هناك ربط تعسفي يتذرّع به محرمو التهنئة مفاده أن ذلك يمثل تأييداً للمشرّكين في عقائدهم الشركية وانحرافاتهم الإيمانية ، وهو أمر منافٍ للمنطق وتبرير لا يستقيم وواقع الحال ، فليس الآخر الذي نتقدم له بالتهاني بحاجة إلى تأييدنا العقدي له ، ولا نحن من الضعف الإيمانيّ حتى تكون تهانينا للآخر تمثل خللاً في إيماننا أو شك في عقيدتنا ، كيف يصح ذلك ونحن نردد قوله تعالى (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابدٌ ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم وليّ دين لذا فالأمر يحتاج إلى النظر في سياق ساحة الإسلام وإنسانيته التي أتمنى ألا نجرده منها بمثل هذا الغلو في نظرتنا للآخر جاراً وصديقاً واهلاً في الإنسانية التي كرم الله بني آدم جميعاً في إطارها ،،،،!!!



اندونيسيا وتونس أصحاب الشيخ الحبيب المستاوي: جسر تواصل بين إندونيسيا وتونس

بقلم الأستاذ إدريس أحمد رفاعي

ليست العلاقة بين إندونيسيا وتونس علاقة سياسية حديثة نشأت في العصر المعاصر، بل هي علاقة إنسانية وعلمية وروحية، امتدت جذورها عبر التاريخ، وتعمّقت من خلال العلم والدعوة والتبادل الثقافي. ومن بين الشخصيات التي لعبت دوراً مهماً في توطيد هذه العلاقة، يبرز اسم الشيخ الحبيب المستاوي، الذي شكّل جسراً حياً للتواصل بين الشعبين الإندونيسي والتونسي.

تونس عُرِفَت منذ قرون بأنها منارة علمية في العالم الإسلامي، وخاصة من خلال جامع الزيتونة الذي خرّج العلماء ونشر الفكر الإسلامي المعتدل. أما إندونيسيا، فهي أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان، وقد ارتبطت بالعالم الإسلامي منذ وقت مبكر عبر الرحلات العلمية وطلب العلم. وقبل قيام العلاقات الدبلوماسية الرسمية بين الدول، كانت هناك علاقات أعمق: علاقات العلماء والطلاب، وحملة الرسالة.

والشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله، كان عالماً تونسياً جليلاً، جمع بين العلم الشرعي العميق، والأخلاق الرفيعة، والانفتاح على المسلمين من مختلف البلدان. لم يكن علمه محصوراً في القاعات الدراسية، بل كان علماً حياً، مرتبطاً بالناس، قريباً من قلوب طلابه، خاصة الطلبة الوافدين من خارج تونس، ومنهم الطلبة الإندونيسيون. ومما يستدل به على ذلك، ما ذكره فضيلة الشيخ صلاح الدين المستاوي في مناسبات عديدة، بصفته شاهداً وعياناً وخادماً لوالده؛ حيث كان يرقب استقباله لطلبة العلم الوافدين من مختلف الدول الآسيوية. ومن ذلك، ما استحضره عن حقبة السبعينيات،

حين زار الأستاذ عبد القهار مذكر - أول رئيس للجامعة الإسلامية الإندونيسية - ومرافقيه من أعضاء «جمعية محمدية» - ثاني أكبر جمعية إسلامية في إندونيسيا - منزلهم العامر، الذي لا يزال الشيخ صلاح الدين يقطنه إلى يومنا هذا.

انطلاقاً من هذه الحادثة، يتبادر إلى ذهني تساؤل جوهري: ما الذي دفع بهؤلاء القادمين من إندونيسيا، في أقصى جنوب شرق آسيا، لقطع مسافات شاسعة تتجاوز عشرة آلاف كيلومتر وصولاً إلى تونس، وتحديدًا إلى دار الشيخ الحبيب المستاوي؟ إن هذا التواصل الفريد لم يكن ليحدث لولا الصيت الذائع الذي حظي به الشيخ الحبيب المستاوي آنذاك، والمكانة الرفيعة التي تبوأها ليس في قلوب التونسيين فحسب، بل في قلوب أبناء الأمة الإسلامية قاطبة.

لم يكن الشيخ حبيب المستاوي مجرد أستاذ يدرّس العلم، بل كان جسرًا إنسانيًا وثقافيًا بين إندونيسيا وتونس.

من خلال: دعمه للطلبة الإندونيسيين، فهمه لخصوصية الإسلام في إندونيسيا، احترامه للتنوع المذهبي والثقافي.

استطاع أن يعكس صورة الإسلام الجامع، الإسلام الذي يوحد ولا يفرّق، ويقرب ولا يباعد. لقد مثل الشيخ نموذجًا للعالم الذي يمارس الدبلوماسية العلمية دون مناصب رسمية، ويصنع علاقات دائمة بين الشعوب من خلال العلم والأخلاق.

في زمن التوترات السياسية والانقسامات الفكرية، نحن بحاجة إلى استحضار هذا النموذج. نموذج العالم الذي: يجعل من العلم وسيلة للوحدة، ومن الحوار طريقًا للتفاهم، ومن الأخلاق أساسًا للعلاقات الدولية

العلاقة بين إندونيسيا وتونس اليوم. يمكن أن تستمر وتتقوى من خلال التعليم، والتبادل الأكاديمي، واحترام الخصوصيات الثقافية.

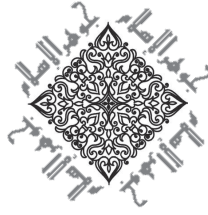
وفي الختام، نؤكد أن إندونيسيا وتونس أصحاب، جمعتهما القيم، ووحدهما العلم، وكان الشيخ الحبيب المستاوي أحد رموز هذه الصداقة الصادقة. وكما قيل:

إذا كانت السياسة تربط الدول،

فإن العلماء يربطون القلوب.

نسأل الله أن يتغمّد الشيخ الحبيب المستاوي بواسع رحمته،

وأن يديم علاقة الأخوة بين إندونيسيا وتونس.



ذكرى مئوية الشيخ الحبيب المستاوي بمشاركة أساتذة من تونس وليبيا والمغرب وغانا وساحل العاج وإندونيسيا وفرنسا

أقامت مؤسسة الحبيب المستاوي للبحوث والدراسات العلمية والتكوين القسم الثاني من مئوية الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله يوم السبت 7 فيفري 2026 بمشاركة ثلة من الباحثين من تونس وليبيا والمغرب وغانا وساحل العاج وإندونيسيا وفرنسا..

وقد كانت المؤسسة أقامت في شهر ماي الماضي في كل من مدين وتطاوين القسم الأول من هذه المئوية باعتبار أن الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله هو اصيل الجنوب الشرقي ولد في تطاوين وأول ما درس في الفرع الزيتوني بمدينة ثم قفصة على اثر تخرجه من جامع الزيتونة في بداية الخمسينات، وكانت له أنشطة متنوعة اجتماعية وسياسية ودينية سواء كان ذلك قبل الاستقلال أو إبان بناء الدولة. وكانت الفترة الخصبة والثرية بالعطاء العلمي والديني والسياسي من حياة الشيخ بعد استقراره في تونس وعودته من ليبيا أين درّس في معهد أحمد باشا واعظا ومعدا لخصص دينية للإذاعة الليبية ثم مُدرّسا في الكلية الزيتونية والأكاديمية العسكرية واماما خطيبا بالجامع الكبير في مقرين ومعدا الحصتين دينيتين للإذاعة إحداهما في تفسير القرآن والأخرى في حديث صباح.

إصدار «جوهر الإسلام»

وما لبث أن اُضيف إلى ذلك إصداره لمجلة جوهر الإسلام سنة 1968 وكان إلى جانب ذلك يلقي دروساً عامة في جوامع : الزيتونة وسبحان الله والزراعية وسيدي البشير كما ألقى محاضرات ومسامرات على منابر اللجان الثقافية وفي المساجد في شهر رمضان وذكريات المولد النبوي والهجرة والإسراء والمعراج وفتح مكة وغزوة بدر..

مسؤوليات مختلفة

وتولى الشيخ الحبيب مسؤوليات حزبية واجتماعية ونقابية في تطاوين ومدنين وتونس واحوازاها، وانتخب أميناً عاماً للجمعية القومية للمحافظة على القرآن الكريم وأدار في مركزها العام بتونس العاصمة ندوة أسبوعية كما انتخب في مؤتمر الحزب الاشتراكي الدستوري بالمنستير 1971 عضواً في اللجنة المركزية.

وشارك في عديد المؤتمرات الإسلامية التي انعقدت في ليبيا والجزائر والمغرب ومصر والمملكة العربية السعودية والأردن وفرنسا.

وظل الشيخ الحبيب المستأوي رحمه الله يعطي على كل الواجبات بلا كلل إلى أن لاقى وجه ربه راضياً مرضياً صباح يوم الخميس في 12 من شهر رمضان سبتمبر سنة 1975 تاركا أثراً كبيراً وإيجابياً في كل الميادين التي نشط فيها..

تكريم

وتأتي إقامة المئوية في إطار التكريم للفقيه من قبل المشاركين الذين جاؤوا من خارج تونس ومن داخلها، وأعمال هذه الندوة ستجمعها المؤسسة لتكون بين أيدي الدارسين والباحثين وقد سبق لمجلة جوهر الإسلام أن أصدرت للشيخ ديواناً شعرياً يحمل عنوان (مع الله) وكتاباً يحمل عنوان (من وحي الإسلام) هو مجموع افتتاحيات الشيخ التي كتبها لمجلة جوهر الإسلام، وللشيخ أعمال علمية منها : تفسيره القرآن الكريم وتدخلاته في اللقاءات الإسلامية التي شارك فيها في ليبيا والجزائر والمغرب ومصر والسعودية والأردن وفرنسا..

ومن المنتظر أن تبادر المؤسسة التي تحمل اسم الشيخ وتُصدر أعماله الكاملة

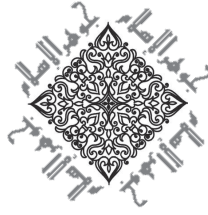
* افتتحت ندوة الماوية بايات من الذكر الحكيم وإنشاد من قبل طالبين من اندونيسيا عرض على اثر ذلك شريط وثائقي بالصوت والصورة من إعداد جمعية تطاوين استعرض مختلف مراحل حياة الشيخ تابعه الحاضرون بإعجاب واهتمام كبير

* انطلقت على اثر ذلك ثلاث جلسات متتالية بدون انقطاع امتدت لما يزيد على ثلاث ساعات ترأسها الأساتذة صالح البكاري والحبيب عويذة وعلي بوردبالة وقدم الأساتذة المشاركون ملخصا لمداخلاتهم القيمة. واثّر ذلك وزعت شهادات الشكر ودُعي المشاركون لحضور ختم الشفا للقاضي عياض في منزل الشيخ الحبيب المستاوي بمقرين كما تم تنظيم زيارة إلى مدرسة عمر ابن الخطاب لتعليم القرآن في سكرة والتي تخرج منها حافظا للقرآن الشيخ عبد العزيز محمود باري وهو مفتي شمال غانا..

شكرا للهؤلاء

وكان حضور الطلبة الإندونيسيين في الندوة مكثفا وفي انضباط كبير وأشرفت على مشاركتهم مشكورة سفارتهم بتونس..

ولا ننسى في نهاية هذا العرض للندوة الشكر لكل من ساهم من قريب أو بعيد في نجاحها والاشادة بها ونخص بالذكر جريدة الصريح والإذاعة الوطنية من خلال حصة يوم سعيد التي يعدها الاخ الحبيب جغام ليوم السبت يوم انعقاد الندوة والشكر للجميع ولفضيلة الشيخ هشام بن محمود مفتي الجمهورية وسفارة المملكة المغربية بتونس والقسم الثقافي بسفارة الصين الشعبية الذين بادروا بالتحية وتمني النجاح للمئوية..



كلمة في زمن العطش الأخلاقي

بقلم د. مصطفى ابراهيم تيسيرتش

البوسنة

«لسنا أبناء اللحظة، بل أبناء المعنى؛ وإذا غاب المعنى، تاه الزمن». السيدات والسادة، أهل القلب والفكر، إخوتي وأخواتي في درب البحث عن السلام،

أقف بينكم اليوم وأنا أشعر أن الكلمات نفسها تحتاج إلى تطهر قبل أن تُقال، لأننا لسنا في حضرة مناسبة عادية، بل في حضرة معنى. لسنا هنا لنتحتفل بخمسين سنة من الزمن، بل لنشهد على خمسين سنة من الوفاء للروح في عالم كثير النسيان. نحن نعيش زمناً متقدماً في أدواته، مترجعاً في قيمه؛ عالماً يملك المعرفة، لكنه يفتقد الحكمة؛ يسبق فيه الذكاء الاصطناعي، بينما يتأخر الضمير الإنساني. «إذا تقدّم العلم وتأخّرت الأخلاق، تقدّمت الوسائل وتأخّر الإنسان».

ولهذا أقول: إن أزمتنا اليوم ليست أزمة نظم، بل أزمة معنى، وليست أزمة موارد، بل أزمة أخلاق. «أخطر الفقر ليس فقر الموارد، بل فقر القيم».

وفي هذا الفراغ الأخلاقي الهائل، يبرز الإرث العلوي الصوفي، لا كحنين إلى الماضي، بل كضرورة للمستقبل. «التصوف ليس انسحاباً من العالم، بل عودة إليه بقلب مُنقى».

هنا، تبرز شخصية الشيخ خالد بن تونس، لا بوصفه شيخ طريقة فقط، بل بوصفه مربّي إنسان، وحارس معنى، وشاهد صدق على أن الروح قادرة، إن أحسن حملها، أن تكون قوة تغيير لا هروب. «المعلّم الحقيقي لا يكثر الأنباع، بل يوقظ الأحرار».

منذ خمسين عاماً، اختار هذا المسار العلوي الصوفي ألا يصرخ في العالم، بل أن يُصغي إليه؛ ألا يُدين الإنسان، بل أن يُنقذه من القسوة؛ ألا يخاصم الحداثة، بل أن يسألها: إلى أين تمضين بلا بوصلة أخلاقية؟

لقد علّمنا هذا الإرث أن التصوف ليس انعزالياً في الزوايا، بل حضوراً أخلاقياً في قلب العالم. «ليس الصوفي من يرى النور وحده، بل من يصير نوراً لغيره». الشيخ خالد بن تونس لم يصنع أتباعاً، بل صنع أحراراً. لم يُنشئ جماعة مغلقة، بل فتح أفقاً إنسانياً واسعاً. «القادة في زمن القسوة هم الذين يربّون القلوب قبل أن يغيّروا الواقع».

خمسون عاماً من العمل الهادئ في عالم صاحب، من بناء الجسور في زمن الجدران، ومن الدفاع عن كرامة الإنسان دون تمييز، في وقتٍ عاد فيه منطق الإقصاء. «السلام لا يولد في الاتفاقيات، بل في القلوب التي تعلّمت كيف تختلف دون أن تكره».

واليوم، ونحن نعيش ثورة الذكاء الاصطناعي، يقدّم لنا هذا الإرث الصوفي درساً بالغ العمق: «العقل آلة عظيمة، لكن الأخلاق هي التي تُمسك بالمقود.» و«التكنولوجيا بلا روح سرعة نحو الفراغ».

إن خمسينية الشيخ خالد بن تونس ليست سيرة شخص، بل ضمير مسار. «السلام ليس حلماً بعيداً، بل تربية قريبة وصبراً طويلاً».

نسأل الله أن يجعل هذه الخمسينية بداية عمقٍ جديد، وأن يمدّ في هذا المسار نوراً وبصيرة، وأن يوفّق الشيخ خالد بن تونس وكل السائرين في هذا الدرب ليظلّوا شهود محبة في زمن القسوة، وشهود معنى في زمن الضجيج.

خاتمة دعائية بنفَس صوفي: اللهم يا من وسعت رحمته كلّ شيء، يا من جعلت المحبة سرّاً الخلق، والسلام اسمك الذي يتردّد في الوجود، طهر قلوبنا من القسوة، وعقولنا من الغرور، وأعمالنا من الرياء.

اللهم علّمنا أن نراك في الإنسان قبل أن نحكم عليه، وأن نختار الرحمة حين تُغويننا القسوة، وأن نسلك طريق السلام ولو طال، فإن الطريق إليك لا يُختصر إلا بالصدق. اللهم اجعل هذا الإرث العلوي الصوفي نوراً في زمن العتمة، وسكينة في زمن الاضطراب، وجسراً بين القلوب حين تتكاثر الجدران.

اللهم بارك في الشيخ خالد بن تونس، وفي كل من حمل الأمانة بصدق، واجعلنا من الذين إذا ذُكروا ذُكرت معهم الرحمة، وإذا ساروا في الأرض، سار السلام من حولهم. «طوبى لمن جعل من المحبة طريقاً، ومن السلام عبادة».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته⁽¹⁾.

(1) نص كلمة ألقاها فضيلة مفتي البوسنة السابق الدكتور مصطفى إبراهيم تيسيرتش في اللقاء السنوي للطريقة العلوية الذي التأم في تونس للمرة الثالثة من 27 ديسمبر 2025 إلى 1 جانفي 2026



خطبة الجمعة

صيام رمضان : الاحكام والأجر والثواب الذي أعدّه الله للصائمين إيماناً واحتساباً

الحمد لله الذي قدّر الازمان وفصل الفصول وتعبداً بأركان الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج. نحمده حمداً يوافي نعمه ومننه علينا وأجلّهن نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم والذين القويم ونشكره جلّ وعلا شكراً نستحق به المزيد. ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة من سلم لربه بالوحدانية وكل صفات الألوهية لا ربّ سواه ولا معبود غيره.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه بعثه الله للناس كافة بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ورحمة للعالمين وخصّ المؤمنين بأن جعله بهم رؤوفاً رحيماً. وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائماً دائمين متلازمين. يفتح بهما كل دعاء يرجى من الله قبوله ويتحقق بهما ما أمر الله به عباده وابتدأ فيه بنفسه فقال جلّ وعلا ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

وأوصيكم عباد الله بما أوصى به نفسي : تقوى الله فإنها زاد المسلم في سعيه إلى ربّه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد أعدّ لنا مواسم يتضاعف فيها الأجر والثواب ونتلافى فيها ما أضعناه في سابق حياتنا من أعمال صالحة.

فهذا عباد الله المسلمون شهر رمضان يحلّ بيننا ضيفاً عزيزاً مبجلاً أكرمنا الله وأمدّ في أعمارنا واستجاب لدعائنا الذي رددته الأسابيع الماضية الستتنا (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان)

ها نحن أحياء معافين سالمين آمنين مستعدين تمام الاستعداد لاستقبال شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن - فما أعظمها من منة وكرم إلهي - يغبطنا عليه من

غادرونا في الايام والاشهر الماضية إلى دار البقاء - وكان يمكن أن نكون مثلهم ممن أفضوا إلي ربهم وحصل لهم ما في الصدور وختم لهم بما قدموا من أعمال - وليس لهم اليوم إلا ذاك مصداقاً لقوله جل وعلا ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾. فله الحمد وله الفضل أن مدّ في أنفاسنا وعافانا في أبداننا لكي نؤدي هذه الفريضة وهذا الركن من أركان الإسلام الخمسة الذي يدل على وجوبه قوله جل من قائل في كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة الآية 182 وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن طلحة بن عبيد الله (أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يقرأ عليه سورة البقرة فقال يا رسول الله أخبرني ماذا فرض عليّ من الصلوات فقال صلى الله عليه وسلم : الخمس إلا أن تطوع شيئاً فقال أخبرني ما فرض الله عليّ من الصيام فقال : شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً فقال أخبرني ما فرض الله عليّ من الزكاة فقال فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الإسلام فقال : والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق) رواه البخاري.

وقد فرض صيام شهر رمضان في شعبان في السنة الثانية من الهجرة وصوم رمضان فرض على المسلم البالغ (ذكراً أو أنثى أو حرّاً أو عبداً) ومنكر أن صيام رمضان فرض وركن من أركان الإسلام الخمسة منكر لمعلوم من الدين بالضرورة خارج من رتبة الاسلام.

ويجب شهر رمضان برؤية هلاله ويثبت دخول شهر رمضان بكمال شهر شعبان. فعن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم أو قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم (أي الهلال) فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) أخرجه البخاري ومسلم. والصوم لغة هو الإمساك والامتناع والكف عن شيء ما.

والصوم في الشرع : هو الإمساك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله.

والصوم : واجب : صوم رمضان وصوم النذر وصوم الكفارة وقضاء الواجب. وصوم مستحب : كصيام يوم عرفة لغير الحاج وصيام أيام من رجب وشعبان والتسعة الاولى من ذي الحجة وصوم عاشوراء والاثنين والخميس والأيام البيض

من كل شهر (13 و 14 و 15).

والصوم المكروه كصوم الدهر ويوم رابع من النحر (الأضحى) وصوم يوم الشك وصوم الضيف بغير إذن المضيف

والصوم المحرم : يومي العيد (الأضحى والفطر) والمرأة دون إذن زوجها ويوم الثاني والثالث بعد الأضحى.

وأركان الصوم هي النية: ويشترط إيقاعها في الفرض والنفل والإمساك عن المفطرات من أكل وشرب وجماع.

وشروط الصوم : البلوغ والقدرة والإقامة.

وشروط صحة الصوم : الإسلام والزمن القابل للصوم.

وشروط وجوب : العقل ودخول الوقت والنقاء من دم الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة.

ويباح للصائم : السواك والاصباح على جنابة والمضمضة لشدة العطش والإفطار عند الخوف من الهلاك ويفطر الشيخ الكبير وعليه الإطعام عن كل يوم.

ويكره للصائم : شم الطيب والتطيب وتذوق الطعام دون ضرورة ومقدمات الجماع إن أمن السلامة المبالغة في المضمضة والاستنشاق وكثرة النوم اثناء النهار والسهر في اللهو بالليل.

ويحرم على الصائم : الغيبة ونحوها وقبلة تترتب عليها إنزال.

ولا تصوم المرأة الحائض والنفساء ويقضيان ما فاتهما عند زوال السبب.

ويباح للمسافر الفطر ويباح للمريض الفطر ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

ويباح الفطر للمرضع إن خافت على نفسها كما يباح للحامل.

والمرأة المرضع إن خافت على الولد عليها القضاء والإطعام. ومتى أخر قضاء ما أفطره من أيام رمضان إلى أن جاء رمضان فعليه القضاء والإطعام.

والهرم والمريض الذي لا يرجى برأه عليهما الإطعام استحباباً. والإطعام مد من غالب قوت أهل البلد.

ويجب القضاء والكفارة على المفطر عمداً. والكفارة على التخيير: إما إطعام 60 مسكيناً (وهو الأفضل) أو صيام شهرين متتابعين أو عتق رقبة.

ويفسد الصوم ويجب القضاء:

- بالفطر ناسياً (يلقى ما في فمه ويواصل صومه).

- المفطر في صيام التطوع لغير عذر عمدًا.
 - التأويل القريب كالتي انقطع حيضها قبل الفجر ولم تغتسل إلا بعده وظنت بطلان صومها فأفطرت أو كمن أفطر لأنه ظن فساد صومه عندما أصبح جنبًا.
 - ويجب القضاء والكفارة على:
 - من تعمد الأكل والشرب.
 - ومن تعمد إخراج المني ولو بفكر.
 - وتعمد رفع النية نهارًا.
 - والجماع نهارًا.
 - والتقيء عمدًا مع إرجاع شيء منه إلى الجوف.
 - من تعمد استنشاق البخور أو وصول البخار (لغير ذي مهمة).
- وهناك مفسدات معنوية للصيام (قول الزور، الرث، الفسوق). هذه خلاصة لأحكام الصيام غير كافية لابد معها من العودة لأهل الذكر من الشيوخ الفقهاء بسؤالهم عن كل الحالات التي تجعل صوم الصائم صحيحاً موافقاً للصواب لأن الله لا يقبل من العمل إلا أصوبه عملاً بقوله جل وعلا (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون). وقد تضمنت بعض هذه الأسئلة والجواب عليها بالاعتماد على المشهور من كتب الفقه المعمول بها والمتبعة من طرف أهل هذه البلاد وما جاورها من بلاد الشمال الأفريقي.
- ولابدّ في ختام هذه الخطبة التي خصصنا أغلبها لبيان أحكام صيام شهر رمضان أن نعود إلى بيان فضائله وخير من بينها بهديه القويم رسول الله عليه الصلاة والسلام. ففي صحيح البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبشراً أمته ومبيناً لها ما به تستقبل هذا الشهر المبارك. قال: (إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة) وقال صلى الله عليه وسلم (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر يوم من شعبان فقال: (يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، فرض الله صيامه وجعل قيامه في ليله تطوعاً، فمن تطوع فيه بخصلة

من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة وشهر يزداد فيه في رزق المؤمن - من فطر فيه صائماً كان له عتق رقبة ومغفرة ذنوبه. قالوا يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. قال: يعطي الله تعالى هذا الثواب من فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرّة أو شربة ماء. ومن أشبع صائماً كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة. وكان له أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار). وروى عن عمر رضي الله عنه أنّه كان يقول إذا دخل شهر رمضان (مرحباً بمطهرنا مرحباً بمطهر خير كله صيام نهاره وقيام ليله والنفقة فيه كالنفقة في سبيل الله عز وجل). وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال (ما من عبد صام شهر رمضان في إنصات وسكوت وذكر لله تعالى وأحل حلاله وحرم حرامه إلا انسلخ من رمضان يوم ينسلخ وقد غفرت ذنوبه كلها ويبنى له بكل تسبيحة وتهليلة بيت في الجنة).

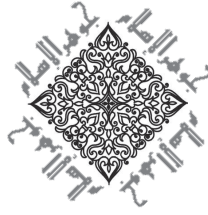
وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أعطيت أمّي في شهر رمضان خمس خصال لم تعط أمة قبلهم: خلوف فم الصائم عند الله سبحانه أطيب من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفتروا، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون في غيره، ويزين الله عز وجل الجنة كل يوم ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ثم يصيرون إليك، وإن الله عز وجل يغفر لهم في آخر ليلة منه، فقيل: يا رسول الله أهى ليلة القدر؟ فقال: (لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله).

وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه وغيرها في فضائل رمضان وما أعدّ الله فيه لعباده الصائمين القائمين من أجر عظيم أكثر من أن نأتي عليها نعود إليها إن شاء الله في خطب قادمة لبيان هذا الأجر والثواب وما صار إليه صيام المسلمين اليوم (إلا من رحم ربك) من جياذ عن صيام الايمان والاحتساب والاخلاص والصبر. والمصابرة والبذل والعطاء والمواساة والرحمة للضعفاء والجمع بين الصيام والقرآن وذكر الله أثناء الليل وأطراف النهار. أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم إنه هو الغفور الرحيم.

البحيرة واحد 1 : خطبة الجمعة التي القاها

الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

الجمعة 28 / 2 / 2025.



الاعلام بمقام الصيام في الاسلام

بقلم : الشيخ صالح العود

مُجاز في علم الشريعة

ها هو ولله الحمد والمِنَّة — يُهَلُّ علينا شهرُ رمضان المبارك من كل عام. فَتَشْرَبُ إليه النفوس المؤمنة قبل العقول المتحجّرة، فيهفو إلى رحابه : المؤمنون والمؤمنات، وحتى الصغار : من الأطفال والبنات.. وما ذلك إلا « كرامة » مُستديمة لهذا الشهر الكريم والعظيم في ءان.

وفي هذا الشهر من العبادات المشروعة ما ليس لغيره من سائر الشهور على مدار العام، وهي عديدة وغير مجهولة، يعرفها الجميع في كل الأوطان ؛ فضلا عن توارد الأحكام فيه فتتسارع وتنزل بالصائمين والصائمات، فيبحثون لها عن « جواب » بعد عرضها وطرحها على العلماء الفضلاء، والفقهاء الأوفياء.

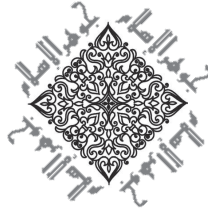
ومن فَضْل الله عليّ، فقد سبق لي أن اهتممتُ بالكتابة فيه، وقد صدر لي عنه أكثر من كتاب حسب التواريخ:

1. أحكام الصيام وفضائل رمضان/ عام 1978.
2. دروس التربية في الصوم لشيخ أحمد قلاش رحمه الله / (نشر وتوزيع) / عام 1986.

3. متى تصوم ومتى تفطر / 1991 م (أصله محاضرة أُلقيت في ضواحي باريس، المتلقى الأول للأئمة والدعاة).
4. الصيام في الإسلام / ط. دار ابن حزم بيروت 2008.
5. خلاصة الكلام في أحكام الصيام عام 2019 / قدّم له فضيلة الدكتور الشيخ محمد ابيات : أستاذ التعليم العالي بكلية الشريعة جامعة القرويين - فاس.
6. رمضان هذا الزائر الكريم. بارس (د.ت)
7. Jeûner et déjeuner a sa voisin

وفي الختام، أقول، ومن الله تعالى الرضاء والقبول : لقد عَمِلْتُ في (إذاعة القرآن الكريم) التي كانت تبث مع إذاعة الشرق بباريس على موجة (FM) : ثلاثين عاما، وفي كل عام كنتُ أقدم برنامجا يخص رمضان قبل ساعة الإفطار، فضلا عن برامج دينية أخرى تصل أحيانا إلى (عشرة) برامج: في التفسير، والحديث، والفقه، والسيرة، والإرشاد، والفتوى عن أسئلة الناس: من المستمعات والمستمعين، وهم كثر في رمضان.

= اللهم اعْفُ عَنَّا .. وَأَرْضَ عَنَّا =



من فوائد المحظرة

بقلم الشريف محمد بن سيد أحمد بن صلاحى العباسى.

الجمهورية الإسلامية الموريتانية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد فإن طلب العلم فرض على كل مسلم، وقد ورد في الحديث النبوي الصحيح: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له بالخير.» رواه مسلم.

يقول أحدهم في الحض على التعلم:

خليلى أفن العمر غير الممدد * على نشب إن منه واسيت يزد
ولا تفنين العمر في جمع ما إذا * بخلت به تدمم وإن جدت ينفد

فعبادة الجاهل بأحكام الشرع قد اختلف فيها أهل العلم هل يحصل له أجر أم أنه قد أثم لتركه التعلم، حتى أن بعض أهل العلم ذهب إلى أنه لا أجر له، ولا إثم عليه، والراجح من أقوال أهل العلم أنه مأثوم غير مأجور، فقد قال الإمام مالك رحمه الله: «إن الجهل في الصلاة كالعمد، والجاهل كالمتعمد لا كالناسي». بل قال العلامة الأمير في شرحه على نظم بهرام فيما لا يعذر فيها بالجهل للقاعدة (أن الجاهل في العبادات كالعامد). أهـ. وذلك أنه بتركه الواجب عليه من العلم بما يقدم عليه من نحو الصلاة كان عاصياً كالمتعمد الترك بعد العلم بما وجب عليه.

فلبعضهم فيها أقوال قيل يوجر * وقيل يوزر وقيل لا يوجر ولا يوزر

في عصرنا اليوم تغيرت الوسائل والمعطيات فينبغي لطالب العلم ان يواكب العصر ويستغل تلك الوسائل إيجابا لخدمة الدين الحنيف كما هو دأب العلامة الشيخ صلاح الدين المستاوي حفظه الله ورعاه فتلك سنته وسنة آبائه من قبل لكأن القائل يعنيه:

بأبه اقتدى عدي في الكرم * ومن يشابه أبه فما ظلم
ولا يستغرب ذلك من مثله فقد ورث المكارم كابرا عن كابر:

من معشر سنت لهم أبأؤهم * ولكل قوم سنة وإمامها
لقد ظل الشيخ صلاح الدين حريصا على نشر العلم والتواصل مع أهله أينما كانوا
ولسان حاله يشدو وينشد:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى * فما انقادت الآمال للصابر
وبما أننا هذه الفترة على أعتاب شهر رمضان المبارك، شهر الصيام والقربات
والرحمات، سنخصص هذا العمود لفوائد من أحكام الصيام لنختم بقصيدة قلتها
سابقا في مدح آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بني العباس بن عبد المطلب.
الكلام على الصوم لغة واصطلاحا فهو لغة يقال لسته أشياء نذكر منها الإمساك عن
الكلام قال تعالى ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. سورة مريم،
الآية 26.

ويقال الصوم لسكون الشمس والريح في عين الرائي قال امرؤ القيس:
فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة * أمون إذا صام النهار وهجّرا
ويقال كذلك لوقوف الدابة على غير علف كم قال النابغة:
خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج واخرى تعلقك اللجما
فالخيل الصيام هي التي تحت العجاج والتي تعلقك لجمها، وغير الصائمة هي
القائمة على علفها.

واصطلاحا حده الإمام القرافي بقوله: «الإمساك عن شهوتي الفم والفرج أو ما
يقوم مقامهما» مخالفةً للهوى في طاعة المولى في جميع أجزاء النهار بنية مبيتة أو مع
الفجر، إن أمكن في غير أيام الحيض والنفاس وأيام الاعياد.

وأما حكمه فيجب كتابا وسنة وإجماعا لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة، الآية 183.

والتشبيه هنا في الحكم لا في الصفة.

ويجب الصوم سنة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه:

(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا).

ويجب إجماعا لإجماع العلماء على وجوبه فمن أنكره كفر، ومن أقر به ولكنه امتنع عنه فالحكم الشرعي فيه عند سادتنا المالكية أن يُرجأ إلى قدر ما يعقد فيه نية الصوم قبل غروب الشمس وإلا قُتل حدا.

وأما حكمة مشروعيته فهي مخالفة الهوى وكسر النفس وتصفية مرآة العقل والاتصاف بصفات الملائكة الكرام، والتنبيه على مواساة الجائع من الناس.

وأما زمن مشروعيته فبعد الهجرة بسنة، وقد سمي رمضان رمضان، فقد ذكر بعض أهل اللغة: أنه مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّمَضِ وهو شدة حر الشمس فقالوا: رَمَضَ الصَّائِمُ يَرْمُضُ، إِذَا اشْتَدَّ حَرُّ جَوْفِهِ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ، وقال آخرون لأنه يرمض الجسم أو الذنوب أو هما معا.

وأما عن ثبوت رمضان فعند السادة المالكية أنه يثبت بكمال شهر شعبان ثلاثين يوما أو برؤية عدلين أو مستفيضة، ويجب على العدل رفع رؤيته إلى الحاكم.

وقد أحسن أحد الأدباء في شأن تنزيه الصوم عن كل ما يخالف الآداب الشرعية فقال:

إذا لم يكن في السمع مني تصامم * وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي إذا من صومي الجوع والظما وإن قلت أنني صمت يوما فما صمت.

ونبه في ختام هذه العجالة إلى أن وجوب الصوم يسقط مع المشقة، كالمرض المبيح للفطر، وضابطه أن كل مرض يزيد بالصوم أو يخشى تأخر الشفاء معه بالصوم فهذان يجيزان الفطر في رمضان.

وكذلك السفر مسافة القصر، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ سورة البقرة الآية 184 .

ولا بأس هنا بذكر فائدة تتعلق بأقسام المشقة، فقد قسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام: مشقة الصحيح كبرد الماء في زمن الشتاء، وهذه غير معتبرة فيما نقله الباجي عن السادة المالكية، وعند غير الباجي أنها فيها خلاف والأصح أنها غير معتبرة.

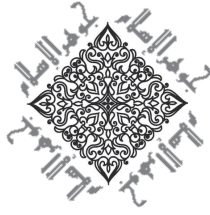
أما مشقة المريض التي لا ينشأ عنها مرض ولا تأخر براء ففيها خلاف فعند الإمام أشهب أنها معتبرة شرعا، وعند الإمام ابن القاسم أنها ملغية. وقد نظم هذه الأقوال أحد العلماء فقال:

تلغى المشقة للصحيح بوفقهم * فيما حكى الباجي عن أهل المذهب
وعلى الصحيح لغيره أما المريض * فذو اعتبار في المقال الأشهبي
وهو اعتمادهم وللعنقي بدا * إلغاؤها ولنجل رشد ذا انساب

وهذه قصيدتي المعنونة بـ«جوهرة الألماس في أمجاد بني العباس»

بنو هاشم في الناس تبرّ وزبّق * وحلّ على جيد الزمان معلق
وخير الوري بدرّ توسط عقدهم * تنير به الدنيا ضياءً وتشرق
وحلف بني العباس حلف مؤسس * لنيل العلى، للمجد والعز يعشق
ولا غرو إن طابت ثمار وأينعت * غصون بأزهار التقى تتفتق
ففي جدهم عم الرسول تجمعت * معانٍ ، وفي أبنائه تفرق
فتيلك أخلاق تعم جموعهم * وسيان بغداد وغرب ومشرق
فلا زال ذاك الجمع للدين واردا * إذا علّ منه فيلق جاء فيلق
ولا برحوا في قنة المجد والعلی * يدور بهم راح العلوم المعتق
خلافه رشيد أسست عز مثلها * بعلم وأخلاق الرجال توثق
رشيد ومنصور ومأمون منهم * ومعتصم تاريخه اليوم يعبق
وفي عصرنا هذي أمانة جدنا * مدبجة في حسنّها تتألق

حوت من سراة القوم كلَّ سَمِيدٍ * فكانت بآفاق المعالي تُحَلَّقُ
 قد اتحدوا صفًّا، فأنشد حالهم * على ذاك بيتا رائقا فيه يصدق
 رضيعي لبان ثدي أمِّ تحالفا * بأسحَمَ داج عَوْضُ لا تَنفَرُقُ
 قد أسَّسها فتیان قوم أعزَّة * عطاؤهم لزال في الناس يُغَدِّقُ
 أقول لمن يبغي مجارة سعيهم * على رسلکم هیئات ذاك ترفقوا
 فحسني مثال للتراحم والندی * ولا زال بالتبجيل والشكر يُرفق
 وفيصل ما أدراك ما هو إنه * أبيّ عزيز النفس شهْمٌ موفقُ
 وسائر أعضاء الأمانة صفوة * نتيه بهم في عصرنا اليوم حدقُ
 ذوائبُ بالعباسِ قد طاب أصلهم * يزينهم علمٌ وحلمٌ ومنطقُ
 فسابق بهم إن شئت في الفضل غيرهم * فهم لسواهم في المكارم سُبْقُ
 ففي كل أقطار البلاد تراهم * عليهم لواء النصر والعز يُخَفِّقُ
 ومن موريتاني نبذة عن جدودنا * سراة بني العباس تزهو وتبرقُ
 فسائل بهم شنقيط تنبئك عنهم * فتاريخهم في محتد العزِّ مُعْرِقُ
 فكم أنجبوا من عالم متبحر * وكم ساد منهم مرهف الفكر مفلقُ
 وكم فيهم من صالح طار صيته * تصلي به أرض العراق وجلقُ
 وآل بني صلاح في الناس فضلهم * لدى السادة الأعلام حكمٌ موثقُ
 وإنا وإن شطت ديار ربوعنا * عن الأهل أو حال النوى والتفرقُ
 لنُهدي إلى الشرق التحايا وإنه * له عهدٌ صدقٍ بالوفاء وموثقُ



يسألونك قل

أُسئلة في الصيام

حول حكم من أفطر في رمضان متعمدا

بقلم : الشيخ الحبيب النفطي رحمه الله

سؤال : يقول السائل الكريم انني افطرت في اليوم قبل الاخير من رمضان عمدا فقل لي عليك بارجاع ذلك اليوم الذي افطرته مع اداء كفارة وهي اطعام ستين مسكينا أو بدل الاطعام نقودا وهي ان اعطي لكل مسكين من المساكين (مئتين 200 تقدير قديم بعض الشيء). وفعلا صمت ذلك اليوم الذي افطرته وشرعت في دفع الكفارة نقدا لكنني لم انته في دفع الكفارة بعد وربما يتواصل الدفع مع دخول رمضان للسنة الحالية هذه علما بانني شديد الحرص على اكمال بقية الكفارة فهل سيدي الشيخ يؤثر هذا التأخير في اكمال الكفارة على صيامي في رمضان القادم أي رمضان السنة الحالية وهل يعتبر صيامي لرمضان في السنة الحالية غير مقبول وغير صحيح اذا لم اتمم الدفع قبل دخول رمضان للسنة الحالية هذه السنة ؟ ولكم الشكر سلفا.

الجواب : اعلم ايها السائل الكريم ان صومك لرمضان في السنة الحالية هو صحيح ومقبول ان شاء الله فقها وأنت قد قضيت اليوم الذي افطرته في رمضان السنة الماضية وان الكفارة التي ترتبت عن افطارك في رمضان عمدا هي دين في ذمتك يجوز لك أن تؤديها في اي وقت شئت وحسبما يتيسر لك دفعها وحتى يتيسر لك وجودا لمساكين الذين تدفعها لهم وان تأخير دفع الكفارة لأصحابها لا يؤثر على صحة صومك لرمضان حتى ولو تأخرت لرمضانات عديدة لكن الأولى أن يبادر الانسان الى دفع الكفارة في وقتها خشية الموت قبل ادائها وهي دين في ذمتك. والله الموفق.

الصوم والصلاة

سؤال 1 : يقول السائل الكريم لازمني في رمضان الفارط مرض طيلة أسبوع فاضطرت إلى الافطار باشارة من الطبيب كي أتمكن من تناول اقراص الادوية وخلال هذا الشهر اردت

ارجاع ذلك الاسبوع ولكنني في كل مرة عندما أريد الصوم واعقد النية أي أبيت على الصيام وأصبح صائما وخلال اليوم أخطيء فأفطر سهوا ثم أكمل اليوم وأنا فاطر مع العلم انني شاب وفي بداية اتباعي للدين الاسلامي وانني الان أبلغ من العمر 15 سنة فهل الذي فعلته خطأ وقع مني أم لا ؟ وماذا يجب علي أن أفعل إن كنت قد أخطأت ؟

جواب 1 : اعلم أيها الشاب الكريم ان كان افطارك في رمضان الماضي اسبوعا بشاره من الطبيب من أجل استعمال اقراص الدواء فرأي الطبيب محترم خصوصا اذا كان الطبيب مسلما لكن هل ألزمتك الطبيب باستعمال اقراص الدواء نهارا ؟ فان كان قد ألزمتك الطبيب باستعمال الاقراص نهارا فالفطر في حقك جائز شرعا وتقضي الايام التي افطرتها في رمضان وان كان الطبيب لم يلزمك باستعمال اقراص الدواء نهارا بل يمكن لك أن تستعمل الاقراص ليلا فلا يجوز لك شرعا الافطار من اجل استعمال اقراص الدواء نهارا والحال انه يمكنك أن تستعملها ليلا وعلى كل فقضاء الايام التي افطرتها في رمضان واجب عليك قضاؤها لكنك قد قلت انني اعزم على قضاء أيام الاسبوع التي افطرتها في رمضان وأبيت الصيام من الليل واصبح صائما ولكنني انسى فأفطر خلال النهار الذي اقضيه فماذا افعل ؟ في مذهبنا المالكي إذا نسي الانسان فأفطر في قضاء رمضان في يوم من أيام القضاء فانه يستمر مفطرا كامل اليوم ولا يعلق لأن القضاء مضمون في ذمة الشخص لا تبرأ ذمته الا بالاثبات به كفا عن كل ما يفسده من أكل وشرب وجماع عمداً أو نسيانا وعند الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهما الله ان الصائم اذا افطر ناسيا بأكل أو شرب في رمضان وقضائه أو غيرهما فليمسك اي عن مواصلة الافطار وصح صومه فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه) رواه الجماعة أي البخاري ومسلم وغيرهما. وأنت أيها الشاب المحترم قد قلت في اثناء سؤالك انني شاب في بداية اتباعي للدين الاسلامي وأبلغ من العمر 15 سنة اعلم انك ان كنت غير بالغ من التكليف الشرعي وذلك بالاحتلام في نومك ليلا أو نهارا انك تجامع وتمارس الجنس ويخرج منك المنى فتجد بللا في ثيابك الداخلية أو نبت بعورتك الشعر الاسود الخشن وما الى ذلك من علامات سن التكليف الشرعي فأنت تكون قد بلغت سن التكليف الشرعي فصوم رمضان وقضاء ما تفطره فيه من أيام لعذر شرعي واجب عليك لأنك مكلف شرعا وان كنت لم تظهر عليك اية علامة من علامات البلوغ لا احتلام ولا نبات شعر أسود خشن ولا غيرهما فلا يجب عليك صوم رمضان ولا قضاء ما تفطره فيه ناسيا أو لضرورة شرعية وانت أدري بنفسك والله اعلم.

صوم رمضان

سؤال : تقول السائلة الكريمة أنا فتاة أبلغ الان من العمر 18 سنة أدركت سن البلوغ وأنا لم أنخط بعد سن الحادية عشرة من عمري أي أدركت سن البلوغ في سن متقدمة نسبيا ومشكلتي تتمثل في انني لم أقم بواجب الصيام في ذلك العام أي في سن الحادية عشرة من عمري لأنني كنت أعتبر نفسي صغيرة السن خاصة وأنا الوحيدة البالغة من بين نديداتي حتى صرت في ذلك الوقت أشعر بمركب نقص تجاه نديداتي ووصل بي التأثير من جراء العادة الشهرية المبكرة التي رافقتني منذ طفولتي حتى دفعتني الى البكاء والخوف على نفسي معتقدة أن ذلك مرض قد حل بي ولن أشفى منه فكل ذلك لم يشجعني على الصيام اضافة الى انني كنت أجهل تقييم ذلك الموقف وتقدير العواقب حق قدرها أما الآن وبعد ان كبرت وعرفت فأحسست سيدي الشيخ بفضاعة ما اقترفت في حق نفسي وديني فاني ألجأ اليكم الان قصد نصحي وإرشادي الى الطريقة التي أقوم بها حتى أكفر عن ذنبي كيف يمكن لي أن أرد كل تلك الايام التي أفطرتها في رمضان ؟ هذا مع الاشارة الى ان احدى صديقاتي أعلمتني انه في صورة افطار الانسان يوما في رمضان عمدا يجب عليه ان يرده مضاعفا أو ان يدفع (مائتي مليم تقدير قديم) صدقة عن كل يوم أفطره متعمدا فهل هذا صحيح ؟ وأن كان غير صحيح ارجو ان تمدوني بالنصح مع الشكر سلفا والسلام.

جواب : أمرك عجيب أيتها الفتاة الكريمة أليست لك ام تعيشين معها حتى تعلمي أحوالك الداخلية مما هو متعلق بأمور النساء كالعادة الشهرية وغيرها ؟ وعلى كل فأنت لصغر سنك وغفلة أملك ذاك عما يعتريك مما يعترى النساء عادة فأنت معذورة حسبما صرحت به في طرح مشكلتك ذلك أنك تأثرت وبكيت خوفا من هذا الدم الذي طرأ عليك وانت لا تزالين في سن الحادية عشرة من عمرك الأمر الذي جعلك تخافين وتبكين من البكاء خوفا من ان تكوني قد اصببت بداء عضال مع ان نديداتك لم يطرأ عليهن شيء مما طرأ عليك في تلك السن المبكرة وعليه فأنت جاهلة بما يترتب عليك في ترك صوم رمضان في تلك السن المبكرة التي ذكرتها في تأويلك فأنت متأولة تأولا قريبا فيما أعتقد والمتأولة تأولا قريبا أي ظنا ان ما تلبس بك يبيح لك الفطر في رمضان ثم تقضي ما أفطرته بعد مرور رمضان فانت لما ظننت أن الدم الذي طرأ عليك في سن مبكرة أي في سن الحادية عشرة من عمرك ظننت أن ذلك الدم مرض وانك مازلت لم تبلغ سن التكليف الشرعي وانك مازلت صغيرة لا يجب عليك صوم رمضان فأفطرت ولم تصومي رمضان وعليه فالواجب عليك الآن هو ان تقضي شهر رمضان الذي أفطرته ولست في قضاء رمضان بملزمة بتتابع أيام القضاء بل صومي وافطري حتى تتممي القضاء ولا كفارة عليك تؤديها للفقراء وما قالته لك احدى صديقاتك غير صحيح. والله الموفق.



مَولاي يا مَولاي، توبة

بقلم صالح الحاجة

طوال عُمرِي، ومنذ أن وعيتُ كنتُ أتمنى وأعيش دائماً على الأمنيات وبالتمنّيات،
أحبُّ أن أتمنى كثيراً.
إنَّ الأمنيات تسكنني وتُقيم بداخلي الأعراسَ والحفلات والمهرجانات، وتدقّ
طبولَ الفرح.
وكَلِّما تلبسْتَنِي أمنية جديدة إلا وشعرتُ بشيءٍ من السعادة، كأنني تناولت ملعقة
من العسل،

كأنني شربت فنجان قهوة على شاطئ البحر.
وشيثاً فشيئاً صرْتُ أعتقد أنَّ التمنيّ والأمنيات دواء وغذاء وسياحة وراحة.
ولذلك تمسّكتُ بها إلى أن صرْتُ عبداً لها حتى أنك تستطيع أن تُلقبني بـ «عبد
الأمنيات». الله غالب.

أنا أحبُّ الأمنيات حتى ولو كانت مستحيلة، حتى لو لم تتحقّق، حتى ولو بقيت
مجرد وهم وخيال.

وكنْتُ أقنع نفسي بأنّه من المستحسن أن يكون عندي الوهم والخيال أفضل من
أن لا يكون عندي أي شيء على الإطلاق، والمُفلس في قاموسي ليس مَنْ لا رصيدَ
له في البنك بل هو مَنْ لا أمنيات له، ومَنْ هو عاجز عن التمنيّ، مَنْ لا يتمنّى مقهور،
فاقد للقدرة على الصراع مع الحياة.

إنَّ لَدَيّ مئات الأمنيات التي جمعتها بمرور الأيام والأعوام، ولو أعرضها للبيع

فسأجني الملايين، ولكنني لن أبيعها فهي عندي أغلى وأثمن من الملايين، ولعلّ أكبر وأعزّ وأثمن أمنية تمنيتها ورافقتني في رحلة حياتي هي أمنية «الرّجل الصالح». طوال عمري وأنا أتمنى أن أنضمّ إلى قوافل الصالحين من عباد الرحمان. طوال عمري وأنا أتمنى أن أكون اسماً على مُسمّى. طوال عمري وأنا أقول وأردّد دون ملل أو كلل: «ربّي زدني علماً والحقني بالصالحين».

وكثيراً ما كنتُ أقفُ في قلب الليل وأنا أخاطب الله وأبكي وأتضرّع وأقول: منذ هذه اللحظة سأتحول إلى رَجُل صالح، لن أفعل إلاّ الخير، ولن أمارس إلاّ الفضيلة، ولن أتكلّم إلاّ كلام ربي، ولن، ولن. سأتبع الصراط المستقيم، ثم أكفكف دموعي وأهرول نحو «الدُّوش» فأغتسل وأتطهر وأمسك بالسبحة وأرتل ما أمكنني الترتيل وما هي إلاّ سويغات حتى أستيقظ من نوم ثقيل وأنفطّن إلى أن برنامجي الإصلاحي قد سقط في الماء وانقطع وهزمه النوم. وتعودُ حلّيمة إلى عاداتها القديمة.

أغادر سريري وأمنيّتي بأنّ أتحوّل إلى «رَجُل صالح» لم تتحقّق، فالأمنية ما زالت أمنيةً، وأنا ما زلت أنا، ويعود الليل ويعود التمنيّ، وأظلّ أسعى وأحاول وأجتهّد لعلّني أبلغ الصلاح الذي أبغي ولكن لم أستطع أن أغادر مُربّع المُحاولة تلو المحاولة. إنّها محاولات جميلة لذيدة عذبة مُريحة مُنعشة، ولكنّها للأسف فاشلة، من قبيل تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفن.

إنّني أحلم بلقب «رَجُل صالح» ولكنني لم أحصل عليه. لكنني لم أياس، ولن أتنازل عن حلمي، ومن يدري لعل الله يقول لحلمي الجميل: كُن فيكون.

tier adab », ethos spirituel. L'expression « Comme s'il y avait des oiseaux sur leur tête », que la Tradition emploie pour décrire l'attitude des Compagnons devant le Prophète, est reprise dans un texte médiéval pour décrire celle des disciples de Dhû I-Nîn al-Misri face à leur maître. Le rapprochement demeure silencieux, implicite, la citation est néanmoins significative de l'attachement du soufisme au modèle prophétique. Ce renvoi mutuel entre soufisme et hadith permet de mieux saisir le rôle du Prophète comme modèle spirituel pour l'islam sunnite !, C'est le sens de la citation du Livre des Haltes de l'Émir Abdelkader, qui ouvre son livre par une analyse détaillée du terme coranique *uswa hasana*, le beau modèle prophétique, justement compris comme « relation » et comportement, *mu âmalah*?. Ces articles nous aident également à comprendre pourquoi la place du Prophète dans la spiritualité musulmane n'a cessé de prendre une importance de plus en plus grande, en ce qui concerne la pratique de la prière sur le Prophète, par exemple :

Plus la référence au Prophète deviendra centrale dans le développement de la spiritualité musulmane, plus cette pratique de la prière sur le Prophète prendra de l'importance en mettant l'accent sur la sacralité de sa personne dans sa double dimension métaphysique et cosmique, tout comme son amour inspirera la poésie et le chant.?

Je citerai en conclusion la remarque qui clôt le premier chapitre de cet ouvrage, consacré au Prophète dans le Coran :

Indépendamment de toute question de foi, le Coran, du point de vue de son discours, parle du Prophète de manière parfois familière mais comme vu de haut, alors que la Sunna offre un discours plus horizontal, un homme parlant d'un homme, même lorsque le Prophète évoque des aspects de son être qui dépassent l'humanité ordinaire.

Cette tension entre verticalité et horizontalité est perceptible dans l'ensemble des articles. Il s'agit bien d'un paradoxe fondateur, car toute fondation religieuse implique l'établissement d'un contact renouvelé entre l'ordinaire et l'inouï, entre l'univers, ses périphéries, et le centre retrouvé. Pour ce faire, la nature du fondateur doit forcément être double, manifeste et cachée, transcendante et immanente. Le Coran ne précise pas toujours la frontière entre ces deux natures, ou plutôt il indique l'une et l'autre et maintient ainsi vivante pour les croyants une présence qui les appelle à réaliser la perfection de leur humanité et les introduit dans la présence du Mystère divin.

Le personnage de Muhammad demeure néanmoins enveloppé d'un voile de discrétion à l'exception - notable - des passages dans lesquels le Coran « dévoile » les pensées intimes du Prophète et des moments de sa vie privée, comme si celle-ci, sacralisée par son apparition dans le texte coranique, fondait une nouvelle histoire sacrée en train de se réaliser.

Les articles 2 et 3 se concentrent sur la nature de la révélation en islam. Les chapitres 4 à 8 présentent le Prophète en tant qu'il fonde une relation ou un faisceau de relations avec son entourage : ses proches, sa famille et l'ensemble des Compagnons, conformément à ses multiples fonctions, maître spirituel ou chef d'une communauté terrestre ou eschatologique. Le chapitre 8, consacré au corps du Prophète, concerne lui aussi une relation qui se prolonge après sa mort: après celle-ci, quelle est la modalité de sa présence dans la communauté et dans la dévotion des croyants? Enfin, les chapitres 9 à 11 étudient des moments particuliers dans l'histoire de l'attachement et de la dévotion au Prophète, jusqu'à l'époque moderne, avec l'héritage prophétique et spirituel incarné par un des maîtres de la Kattâniyya.

Cette dernière série d'articles est fortement nourrie par les recherches de l'auteur sur le soufisme et son histoire dans les sociétés musulmanes. C'est la littérature du soufisme, dans laquelle, au fil des siècles, le Prophète tient une place de plus en plus centrale, qui l'a incité à rechercher dans le Coran et le hadith les fondements de son importance au sein de la doctrine et de la pratique spirituelles de l'islam. Il n'est pas étonnant, à ce titre, que des citations d'Ibn

•Arabi se retrouvent dans différents articles de ce recueil, étant donné l'inspiration coranique et prophétique de ce maître auquel sont consacrés les deux derniers chapitres. Cette place du Prophète dans la tradition spirituelle de l'islam tient à ce que la prophétie et la sainteté sont à considérer dans un rapport d'analogie: « Le prophète et le saint sont des êtres marqués, chacun à leur niveau, par l'élection divine et la providence!

Quel est le rôle de la figure prophétique dans le développement de l'autorité spirituelle du maître? L'article « Le modèle prophétique du maître spirituel en islam » a été rédigé après celui de Michel Chodkiewicz intitulé « Le modèle prophétique de la sainteté en islam-». Alors que ce dernier consacrait son enquête, entre autres, à la question du Neo-Sufisme?, Denis Gril recherche dans la Tradition les récits qui montrent le Prophète en tant que modèle du maître spirituel.

Dans cette contribution, la littérature soufie est citée exclusivement en note (renvois à Suhrawardi), mais ces traditions, montrant un Prophète qui inculque un enseignement dont l'objectif est de transformer intérieurement ses compagnons et de les conduire sur la voie de la perfection, ont joué un rôle fondamental dans la formation du soufisme classique, qui se veut « tout en-



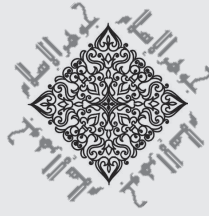
STRUCTURE DU PRÉSENT OUVRAGE

FRANCESCO CHIABOTTI

Le présent recueil réunit des articles publiés tout au long de la carrière de l'auteur, ainsi que des textes inédits. Il ne nous a pas semblé opportun d'établir des parties distinctes: cela aurait impliqué une cohérence dans la rédaction de chaque partie par rapport à l'en-semble. Or, la distance chronologique ainsi que la nature différente de chaque article ne le permettent pas. Il convient néanmoins d'exposer le principe qui a guidé l'enchaînement des chapitres.

Le livre s'ouvre avec une vaste enquête inédite sur le Prophète dans le Coran. La « primordialité » de la question n'est pas seulement chronologique, même si, rappelons-le, le recueil coranique est la source matérielle la plus ancienne qui nous renseigne sur (certains) aspects de la personne Muhammad et sur les modalités de sa mission.

Ce travail permet d'isoler le discours coranique sur le Prophète, en laissant en suspens les données ultérieures de la Tradition. Il serait intéressant de disposer d'une contribution semblable montrant ce que celles-ci apportent de spécifique. Si le reste des articles prend sa source dans la littérature traditionnelle sunnite, ce premier chapitre s'en abstient, à quelques exceptions près. Quels résultats devons-nous en retenir? Mis à part des éclairages sur certains points de théologie, comme l'infailibilité (isma) du Prophète, que le Coran ne formule pas comme le fera la tradition théologique, la question demeure celle-ci: cette longue relecture du Coran comme s'adressant au Prophète mais aussi comme contenant le Prophète, que nous apprend-elle sur Muhammad? Ce texte aide à saisir avec une grande précision les contours multiformes de sa fonction prophétique.



JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 7/8 - 24ème année

Ramadan 1447/ Mars 2026

SOMMAIRE

STRUCTURE DU PRÉSENT OUVRAGE

2

FRANCESCO CHIABOTTI